مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني ، ص84 – ص147، 2003م

الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم

عصام العبد زهد*

كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة

ص.ب: 108 ، غزة – فلسطين

MERICL AFFECT OF HOLLY QURA'N

ملخص: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

لقد تحدث البحث عن الإعجاز التأثيري للقرآن وأعتبره وجهاً من وجوه الإعجاز المتعددة للقرآن ، ثم أثبت القدرة التأثيرية للقرآن على سامعيه سواء كانوا من الناطقين باللغة العربية أو من غير الناطقين بها .

وتم الحديث عن تأثير القرآن على رسولنا الحبيب والصحابة الكرام عليهم رضوان الله وكيف جعل منهم خير أمة أخرجت للناس وأيضاً عن تأثير القرآن على الكافرين بمجرد السماع لآياته فكان سبباً في دخولهم في هذا الدين .

وتتطرق البحث إلى تأثير القرآن الكريم على عالم الجن حينما استمع نفر منهم لآيات القرآن فنقلبوا إلى قومهم دعاة ومنذرين .

ثم تناول البحث آراء العلماء حول فكرة الإعجاز التأثيري للقرآن بالشرح والتحليل من العلماء القدامى أمثال الخطابي والباقلاني والجرجاني والسيوطي ومن المحدثين سيد قطب والشيخ الشعراوي ومحمد فريد وجدي، والدكتور/ فضل عباس والدكتور/ صلاح الخالدي.

وخلص الباحث إلى أن الإعجاز التأثيري في القرآن هو وجه مستقل قائم بذاته من خلال بيانه للقدرة التأثيرية في القرآن على جميع مستويات الناس الثقافية والعقلية والاجتماعية.

فما من أحد يستمع إلى القرآن إلا ويتأثر به وتحدثه نفسه بأنه الحق من عند الله وأن ما جاء به من أحكام وشرائع هي الحق يجب أن تطبق على صعيد الفرد والمجتمع بأسره .

Abstract In this simple research we will talk about "The mericl affect of Qura'n" as being a side of many mericl sides of Qura'n, many scientists talk about the scientific linguish'c, unknown, numerals mericls, but few have indicated to the effect of Qura'n apon its listeners.

---

[*] أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن.

Therefore, we will talk much in this research about this "mercl affect of Qura'n" on its listeners , and to serve its basic aim , I put it in the beginning followed by conclusion.

In the introduction we talked about the mercal definition conditions , types , ways of believing it, number of mericls and their relativity to the time came in , and the different between the mircle and the bride and then the difference between the mirecl of this nation and the mirecls of the nation of Israel.

The first chapter : was intitled the mericl affect of Qura'n on its histeners , we talked about the effect of Qura'n on the massenger of Allah "peace be upon him" and El Sahab "friends of the massenger" peace be upon them that makes of them the best nation on earth as they became leader for humanity in all fields of life. And how the Qura'n affected the disbelievers on hearing it as it attracted them to be believers of this religion, after that revealing the mask on the affect of Qura'n on those who can't speak the arabic language.

While, so hears the verses of Qura'ns in praying of from a radio, they immediately felt the beauty and softness of the Qura'n, so he became to look for Islam , to declare that he that he is muslim.

But the final subject explain the effect of Qura'n on the world of fairies , when some heerd the verses of Qura'n they return to their nations to invite them nations to Isalm. Allah said:

Chapter two deals with the opinion of scientes in koranicinability influence in the hearing spirit through old scients new likes Albaglany, Algergany, Alkattaby, and Alsoioty, afferthat I discussed all that opinions.

I decleared the new scients opinion likes saied kattab, Sharawi and others.

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين الحمد لله الذي أنار قلوبنا بنور الإيمان وهدانا بهدى الإسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الملك والحكم والسلطان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أدى الأمانة وبلَّغ الرسالة ونصح الأمة ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على النبي الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم كلام الله وهو الآية الكبرى والحجة البالغة الخالدة إلى يوم الدين، وهو مبرأ من الضعف البشري ، قال تعالى : **(لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** (1) .

وهذا القرآن يمثل معجزة محمد ﷺ حيث تحدى الإنس والجن في القديم والحديث وإلى يوم الدين على أن يأتوا بمثل سورة من سور القرآن الكريم ، قال تعالى : **(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)** (2) .

وعجز العرب وهم أهل الفصاحة والبيان وفرسان البلاغة واللسان كما عجز شركاؤهم من الجن قديماً وفي العصر الحديث حاول بعضهم عدة محاولات فباءت محاولاتهم بالفشل الذريع ، وأدركوا عجزهم يقيناً فكسّروا أقلامهم ومزقوا قراطيسهم ، وأُسقط الأمر في أيديهم ، قال تعالى : **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)** (3) .

وتحدث العلماء عن السر الإعجازي للقرآن الكريم ، فحصروه في وجوه متعددة منها الآتي:

الإعجاز اللغوي أو البياني ، والإعجاز التشريعي ، والإعجاز العلمي ، والإعجاز الغيبي، والإعجاز العددي ، وذكر الخطابي قديماً أن للقرآن الكريم تأثيراً في النفس البشرية عندما تستمع لهذا القرآن ولم يتوسع في توضيح هذا الوجه الإعجازي للقرآن الكريم وذلك لانشغاله في بيان الإعجاز اللغوي (البلاغي) في القرآن الكريم ، وفي العصر الحديث ذكر سيد قطب – رحمه الله – الأسلوب التأثيري للقرآن وعرض ذلك الوجه الإعجازي للقرآن في "نظرية التصوير الفني في القرآن الكريم" .

أقرَّ كلُ من تحدث من العلماء عن إعجاز القرآن الكريم "بتأثيره في النفس البشرية" ؛ إلا أن بعضهم أرجع هذا التأثير إلى وجه من وجوه الإعجاز الأخرى ، وبعضهم عدّه وجهاً مستقلاً بذاته ، وسنفصِّل القول في بيان آراء العلماء حول الإعجاز التأثيري للقرآن في الفصل الثاني بإذن الله تبارك وتعالى .

وتحدث هذا البحث عن الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وعدَّهُ وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني المتعددة لأنه بمجرد الاستماع لهذا القرآن ، فإنه يؤثر في سامعيه فيشعروا بحلاوة القرآن ويتذوقوا عذوبة الأسلوب القرآني فيقرروا أن هذا ليس من كلام البشر وإنما هو من عند الله الواحد القهار، قال تعالى : **(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ)** (4) .

وسيبقى هذا القرآن معجزاً للبشرية بأسرها إلى يوم الدين على الرغم من المحاولات اليائسة لأعداء الإسلام للنيل من القرآن الكريم ، فالله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ القرآن إلى الأجيال جميعاً ، قال تعالى : **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**(5).

أسباب اختياري لهذا البحث

1- بيان إعجاز القرآن الكريم من خلال تأثيره في النفوس عندما تستمع لقراءته .
2- إظهار الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم على أنه وجه مستقل بذاته كباقي وجوه الإعجاز الأخرى التي امتاز بها القرآن .
3- اختلاف العلماء حول "الإعجاز التأثيري للقرآن" بين مؤيد ومعارض ، من ناحية وهل هو وجه مستقل بذاته أم أنه تابع لبعض الوجوه الأخرى ؟ وحسم هذا الخلاف وبيان وجه الصواب من خلال الاستدلال بالأدلة الشرعية والنقلية .
4- إضافة دراسة جديدة للمكتبة الإسلامية تبحث في علوم القرآن يستفيد منها طلبة العلم عبر الأجيال المتعاقبة .
5- ابتغاء الأجر والثواب في الدنيا والآخرة من خلال خدمة كتاب الله تبارك وتعالى ، حيث جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له)** (6) .

أهداف البحث

1- هدف البحث إلى إظهار آراء العلماء قديماً وحديثاً في "الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم" وتصويب الصائب منها بالأدلة النقلية والعقلية .

2- إثبات إعجاز القرآن الكريم للخلق أجمعين من خلال الأسلوب المؤثر الذي انفرد به القرآن.
3- فتح آفاق جديدة أمام الدارسين ، لتناول جوانب أخرى في إعجاز القرآن الكريم .
4- دراسة وجه الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم دراسة منهجية استقرائية تحليلية مقنعة للآخرين.
5- استخدام هذا الوجه الإعجازي للقرآن كأسلوب دعوي لإقناع الناس بهذا الدين ، ولاسيما أن طرح هذا الموضوع يُشعر النفوس بحلاوة الأسلوب القرآني .

أهمية البحث

1- أوضح البحث الإعجاز التأثيري للقرآن كوجه مستقل بذاته ، كسائر وجوه الإعجاز الأخرى ، وحسم قضية الخلاف بين العلماء حول هذه القضية .
2- خدمة كتاب الله تعالى ، حيث إنه كتاب هداية وإرشاد بالدرجة الأولى ، وبالتالي تكمن فيه حل لكل ما يعتور البشرية من مشاكل في جميع مجالات الحياة إلى قيام الساعة .

منهج البحث

1- استقراء المعلومات المتعلقة بالإعجاز التأثيري للقرآن من الكتب القديمة والحديثة ، والتحليل والاستنباط لكل ما هو مفيد من خلال الاستقراء .
2- الدقة والأمانة في طرح آراء العلماء حول هذه القضية ، مع ترجيح الراجح منها بالأدلة السمعية والعقلية.
3- الرجوع إلى المصادر الرئيسة وأمهات الكتب الأساسية ، بالإضافة إلى الكتب الحديثة المتعلقة بموضوع البحث .
4- بيان الآيات القرآنية في سورها وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة وتوثيق المعلومات المتعلقة بالبحث من مصادرها الأساسية .

خطة البحث

يتكون هذا البحث المتواضع من مقدمة تناول فيها الباحث تعريفاً عاماً بعنوان البحث ، وأسباب اختيار البحث ، وأهدافه وأهميته ثم أتبع المقدمة بتمهيد تحدث عن

تعريف المعجزة لغة واصطلاحاً وشرطها وأنواع المعجزات ، وكيفية الإيمان بها ، ومناسبة المعجزة للزمن الذي وردت فيه على يد الرسل الكرام .

الفصل الأول : أظهر هذا الفصل الإعجاز التأثيري للقرآن في نفوس الناس وتم بيان تأثر الرسول ﷺ والصحابة الكرام بالقرآن الكريم ، وكيف أثر القرآن في النفوس المؤمنة والكافرة ومن ثم أوضح تأثير القرآن الكريم على غير الناطقين باللغة العربية وفي نهاية الفصل أوضحنا تأثير القرآن على عالم الجن عندما استمعوا إلى القرآن فآمنوا به .

الفصل الثاني : تمّ استعراض آراء العلماء حول الإعجاز التأثيري للقرآن في النفوس قديماً كأمثال السيوطي ، والباقلاني ، وحديثاً سيد قطب ، ومحمد فريد وجدي وغيرهم والترجيح بين هذه الآراء .

الخاتمة : وهي عبارة عن ملخص بسيط للبحث تناول أهم النتائج والتوصيات ثم أتبعت الخاتمة فهرساً للموضوعات وأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالدعاء إلى الله سبحانه أن يجعل هذا العمل الطيب خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الناس عامة ، وطلبة العلم خاصة ، وأن يفتح علينا بالمعرفة والحكمة والتفسير والفقه في الدين ، قال تعالى : **(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** (7) .

أسأل الله العلي القدير أن يجعله في ميزان الحسنات يوم الحساب ، يوم العرض الأكبر إنه سميع قريب مجيب الدعاء ، وإنه نعم المولى ونعم النصير .

تمهيد

تعريف المعجزة لغة

المعجزة في اللغة تعني إعجاز الخصم عند التحدي ، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي (عجز) ومصدره العجز ، وهو ضد القدرة ، وأصبح اسماً للقصور من فعل الشيء ، فيقال عجز الرجل عن الأمر بمعنى أنه حاول أن يفعل أمراً ولم يستطع .

والعجز هو التأخر عن الشيء وعدم القدرة على فعل الشيء ، قال تعالى: **(قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)**(8) .

وأُطلق لفظ العجوز على المرأة الكبيرة في العمر ، وذلك لعجزها عن القيام بكثير من الأعمال التي كانت تقوم بها في شبابها حيث جاء على لسان زوجة إبراهيم عليه السلام قوله تعالى : **(قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)**(9) .

وجاء في لسان العرب(10) عدة معانٍ لكلمة العجز وكلها تدور في محور واحد وهي كالآتي

1- **العجز** : يعني نقيض القدرة والحزم ، فيقال عجز عن الشيء يعجز عجزاً أي بمعنى أنه غير قادر على فعله ، فهو عاجز وهو اسم الفاعل من عجز .
2- **العجز** : يعني الضعف ، عجزت عن كذا أي ضعفت ويصدق ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **(ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجَزَة)** أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيّش ويقصد لا تلبثوا بدار ضعيفة .
3- **العجز** : يأتي بمعنى التثبيط : تقول عجز الرجل غيره ، وأعجز الرجل غيره أي صار الخصم ضعيفاً عاجزاً عن متابعته (11) .

يتضح مما سبق أن الإعجاز : هو الفوت والسبق فعندما تقول أعجزني فلان أي سبقني وفاتني وجعلني عاجزاً عن طلبه .

وإعجاز القرآن : يعني ارتقاء القرآن في البلاغة والفصاحة وأمور الإعجاز الأخرى إلى أن تخرج عن طوق البشر فيعجزوا عن معارضته أو الإتيان بمثله ، لأنه بلغ مستوى لا يصل إليه كلام آخر بمعنى أنه يعلو على كل كلامٍ ولا يُعلى عليه .

والإعجاز التأثيري للقرآن ، أي أن القرآن الكريم له تأثير بأسلوبه على سامعيه من خلال سلطانه القاهر العجيب الذي يؤثر في القلوب المؤمنة والقلوب الكافرة على حد السواء .

فما أن يقرأ الإنسان آيات من الذكر الحكيم أو يسمعها تتلى عليه فيحس لها في نفسه وقعاً خاصاً ويحس لها في قلبه تأثيراً خاصاً وسلطاناً عجيباً لا يكون لغير آيات القرآن الكريم .

تعريف المعجزة اصطلاحاً

عرّفها العلماء بعدة تعريفات على حسب اجتهاداتهم ، أفضل هذه التعاريف وأشملها الآتي

(إن المعجزة هي أمر خارق للضرورات والمألوفات من الفعل أو الترك يجريه الله سبحانه وتعالى على يد نبي أو رسول وفق مراده ليبرهن على صدقه مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة وذلك في زمن التكليف)(12) .

من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي لكلمة المعجزة نستطيع وضع الشروط التي ينبغي توافرها في المعجزة عند وقوعها .

شروط المعجزة

1- أن تكون المعجزة من فعل الله سبحانه وتعالى ، وليس للنبي أو الرسول فيها يد وإن جرت على يديه ، وإنما دور النبي الدعاء إلى الله بالتأييد والتثبيت في طريق الدعوة.

ومعلوم لدينا أن الذي يخرق النواميس الكونية ليس البشر وإنما الله سبحانه وتعالى فهو الخالق لكل هذه المظاهر الكونية فهو وحده القادر على إحداث التغيير فيها كما يشاء، قال تعالى : **(فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)**(13) وقال تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)**(14) .

والدليل على هذا الشرط موقف عيسى عليه السلام كما يُصوّره القرآن الكريم في قوله تعالى : **(وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**(15).

يوجد في هذه الآية أمور أسندها الله إلى نفسه لأنها ليس من مقدور البشر فعلها ، وتتمثل في إحياء الموتى ، فهو بإذن الله تبارك وتعالى ، وأمور أسندت إلى عيسى عليه السلام وهي إبراء الأكمه والأبرص فهذه الأخيرة في مقدور الطب أن يعالج مثل هذه

الأمراض(16) . وفي حادثة الإسراء والمعراج يقرر الحق تبارك وتعالى أن الذي يُخرج النواميس الكونية عن طبيعتها هي قوة الله سبحانه ، قال تعالى : **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** (17) .

قال : سبحان الذي أسرى بعبده ، ولم يقل بنبيه أو رسوله ليقرر في وسط المعجزة أن محمداً عبد وبشر وليس في مقدوره التغيير ، وإنما التغيير بيد الله سبحانه الذي هو على كل شيء قدير .

والمعجزة هي بأمر الله سبحانه والنبي أو الرسول ليس له إلا التوجه والتضرع والدعاء إلى الله لكي يؤيده بهذا الأمر المعجز ليكون برهاناً على صدقه ، والأمر المعجز يشمل واحداً من ثلاثة

أ – **القرآن الكريم:** وهو المعجزة الخالدة الباقية إلى يوم القيامة للدلالة على نبوة محمد ﷺ

ب – **الفعل** : وهو يعني حدوث أمر خارق للعادة والمألوف كإطعام الخلق الكثير من الطعام القليل ، أو كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ أو كانشقاق القمر ... الخ .

ج – **الترك** : كأن تترك بعض المواد الخاصية الملازمة لها وتتصف بخواص مغايرة تماماً غير مألوفة ومعهودة عند الناس ، كمثل عدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام قال تعالى : **(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)** (18). لقد فقدت خاصيتها وهي الإحراق وأصبحت سلاماً على أبي الأنبياء بأمر الله سبحانه ، أو أن يصبح البحر طريقاً يبساً ، كما حدث لموسى عليه السلام ، قال تعالى : **(وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى)**(19) .

2- أن تكون المعجزة ناقضة للعادة والمألوف ، أو خرقاً لسنن يراها الناس ويلمسونها ، وبمفهوم المخالفة يتضح أن غير الخارق لا يسمى معجزة كأن يقول رجل إن آية صدقي الناقضة للعادة والمألوف أن أمشي على اليابسة فهذه ليست معجزة لأنه في مقدور الإنسان فعل ذلك ، أمّا المعجزة فتتمثل في أن تُقلب العصا إلى ثعبان أو يُشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة أو ينبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ

ليبرهن على أن الله معه ، والأمثلة كثيرة على ذلك منها أن تصبح النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، قال تعالى : **(قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)**(20) .

3- أن يتعذر على المتحدى بها الإتيان بمثلها : بمعنى أنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها، فالمعجزة تكون عندما يعجز الناس جميعاً عن المجيء بمثلها وبهذا الشرط يخرج :

أ – السحر : فهو تخييل وليس معجزة لأنه في مقدور البشر تعلمه ومعرفته بالممارسة ، قال تعالى : **(قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ، قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)**(21) ، فهي حقيقة لا تسعى وإنما هو تخييل من قبيل السحر(22) .

ب – الشعوذة : وهي تعني خفة اليد في فعل أمر ما ، هي درب من الخداع والاحتيال البعيد عن الحقيقة .

ج – الكهانة : هي أن يتنبأ الكاهن بأمر غيبي قائم على الظن والتخمين ، والعرّافة : هي أن يتنبأ العرّاف بالأخبار المستقبلية على نحو الكهانة(23) . ولكونهما قائمتين على الظن الذي يخطيء ويصيب ، نهى ﷺ عن ذلك حيث جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة والحسن عن النبي ﷺ قال : **(من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)**(24) .

أما بالنسبة للمعجزة فهي أمر مخالف لصنع السحر والشعوذة والكهانة لأنه يصعب ويتعذر على المتحدى بها الإتيان بمثلها كمعجزة النبي ﷺ حينما جاءه أحد الفتيان يحمل سيفاً مسمماً ليقتله وهو مستظل تحت شجرة فقال له : من يمنعك مني ؟ قال ﷺ : الله ، فسقط السيف من يد الرجل ، وأخذه ﷺ وقال : من يمنعك مني الآن ؟ قال الرجل : لا أحد ، فعفى عنه ﷺ فأسلم الرجل(25) .

4- أن تكون المعجزة مطابقة لمن ظهرت على يديه : بمعنى أن تكون مؤيدة ومصدقة له، كأن يقول آية نبوتي ودليل حجتي أن تنطق الصخرة أو الدابة ، فنطقت الصخرة أو الدابة بأن قالت : كذب وليس هو نبي ، فإن هذا الكلام دال على كذب ذلك المدّعي

للنبوة ويؤيد ذلك ما يروى أن مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت البئر وذهب ما كان فيها من الماء وبذلك تشهد بتكذيبه فهي ليست بمعجزة(26)

5- أن تكون المعجزة في زمن التكليف : أي في الحياة الدنيا وقبل ظهور العلامات الكبرى ليوم القيامة ، وذلك ليتم التحدي بها والعجز عن معارضتها ، أما بالنسبة لما يجري يوم القيامة من أمور خارجة عن المألوف والعادة لا تعتبر معجزات ، لأنها ليست للتحدي مثل طلوع الشمس من مغربها وانفطار السماء ونسف الجبال وتسجير البحار ... الخ .

أنواع المعجزات

المعجزات نوعان ، منها المعجزات الحسية أوالمادية ، والمعجزات العقلية .

أ – المعجزات الحسية أو المادية التي تدرك بالحواس لكونها خاصة بزمن معين أو بقوم من الناس فتصلح دليلاً لتصديقهم دعوى النبي أو الرسول المرسل إليهم . وهذا النوع من المعجزات لا تختلف فيه أنظار الناس والكل يؤمن بتلك المعجزات لأنه يشاهدها ويلمسها وأمثلتها كثيرة كجمود الماء تحت الأقدام طريقاً يبساً ، أو إحياء الموتى لعيسى عليه السلام ، وإبراء الأكمه والأبرص والطوفان الذي حصل لقوم نوح عليه السلام ، وناقة صالح عليه السلام ، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام وتليين الحديد لداود عليه السلام ، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ وإطعام الخلق الكثيرمن الطعام القليل وغيرها كثير(27) .

ب – المعجزات العقلية : هذا اللون من المعجزات موجه إلى العقل الإنساني يتحداه في كل زمان ومكان ، ومثل هذه المعجزات قد تقف منها أنظار الناس مواقف متباينة ، إما أن تؤمن بها وتصدق ، وإما أن تجحدها وتكذب ، مع أنها تملك الدليل وتؤكد على صدق من جاءت على يديه ، وهذه المعجزات تتمثل في الكتب السماوية بشكل عام وفي القرآن الكريم بشكل خاص ، لأن القرآن الكريم هو المعجزة العقلية التي أيد الله بها محمداً ﷺ وما زالت وإلى أن تقوم الساعة ستبقى معجزته الخالدة إلى يوم الدين .

كيفية الإيمان بالمعجزة العقلية

نؤمن بهذا اللون من المعجزات عن طريق العقل ، والعقول متفاوتة منها النقي ومنها العكر ، وبالتالي تختلف عقول الناس في الإقرار بها ، فالمؤمن حينما يشاهد المعجزة يزداد إيماناً ، وأما الذي في قلبه نفاق ومرض فيزداد كفراً ونفاقاً لأنه أدرك حقيقة المعجزة فلم يؤمن بها ، قال تعالى : **(وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ)**(28) . وسواء أقرت تلك العقول أو لم تقر فالقرآن الكريم هو المعجزة العقلية الخالدة لأنه تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثل سورة من السور القرآنية فعجزوا وأسقط الأمر في أيديهم ، قال تعالى : **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الأنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)**(29) .

الفرق بين معجزات بني إسرائيل ومعجزة هذه الأمة

إن معظم معجزات بني إسرائيل كانت حسية مادية ملموسة واقعة أمام أعينهم ، ومع ذلك فإنهم سرعان ما يجحدون هذه المعجزات التي شاهدوها ولمسوها على يد أنبيائهم وذلك لفساد تصورهم وانحراف في نفوسهم ، بينما معجزة محمد ﷺ الأولى والكبرى كانت معجزة عقلية للدلالة على البصيرة المستنيرة التي تحظى بها الأمة الإسلامية ، وبهذا الخصوص يقول الإمام السيوطي(*) – رحمه الله – في الإتقان : "وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم ، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم"(30) .

وبما أن الشريعة الإسلامية باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة باعتبارها الرسالة الأخيرة للبشرية حظيت بالمعجزة العقلية الباقية بقاء هذه الحياة ليراها الناس أصحاب العقول والبصائر فيؤمنوا برسالة الإسلام . يضاف إلى ذلك أن حب بني إسرائيل للمادة والحياة جعل من المناسب أن تأتي معجزاتهم

على قدر عقولهم ، لهذا كانت معجزاتهم مادية محسوسة قال تعالى:**(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)**(31).

أما زعم بني إسرائيل إن معجزاتهم كثيرة وأنبياءهم أكثر دليل على فضلهم فهذا خطأ فادح ، وإنما هو دليل على كثرة معاصيهم وليس فضلاً لهم ، بل هذا دليل وبرهان على نفسيتهم المنحرفة الشاذة التي تتفلت من أمر الله باستمرار ، لذا فهم في احتياج إلى التذكير بماء جاءهم من الحق ، قال تعالى : **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ، وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ)**(32) .

أما بالنسبة لهذه الأمة فالمعجزة الأساسية الأولى هي القرآن الكريم ، وهي المعجزة العقلية مع إنه كان بجانبها من المعجزات المادية الشيء الكثير والتي منها الآتي:-

1- انشقاق القمر

لقد سأل الكفار رسول الله ﷺ آية وهو بمكة المكرمة قبل الهجرة إلى المدينة فأراهم ﷺ انشقاق القمر آية وحجة على صدق قوله ، وحقيقة نبوته ، فلما أراهم أعرضوا وكذبوا وقالوا هذا سحر مستمر ، سحرنا به محمد ﷺ رغم أنهم شاهدوا انشقاق القمر بأم أعينهم وصوَّر القرآن الكريم حادثة انشقاق القمر التي تعني اقتراب الساعة(33) ، قال تعالى : **(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)**(34) .

2- حادثة الإسراء والمعراج

تحتوي حادثة الإسراء والمعراج على أمور مادية ومعنوية ، مثل قطع المسافات الطويلة في مدة زمنية قصيرة فهذه معجزة عقلية ، وكذلك التي تحدث عنها في معراجه معنوية قد لا يصدقها البعض من القوم ، وفعلاً حدث ذلك من المشركين ، أما المؤمنون أمثالُ أبي بكر رضي الله عنه فزادتهم إيماناً مع إيمانهم ، وقال قولته المشهورة : "والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ! فوالله إنه ليخبرني إن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ! فهذا أبعد مما تعجبون منه"(35) .

أما عن إخباره ﷺعن أشياء في مواقع طريقه كإخباره عن القافلة التي ستظهر في صبيحة يوم كـذا يقدمها الجمل الأورق وعن وصفـه لهـم بيت المقدس فهذه مادية .

مما تقـدم بيانه ، يتضح أن حادثة الإسراء والمعراج شملت المعجزات المادية والعقلية .

مناسبة المعجزة لزمانها

اقتضت المعجزة الإلهية أن تكون مناسبة للزمن التي جاءت فيه ، ومسايرة لأفهام الناس ومواكبة لعقولهم ، وذلك حتى يتم التحدي بها ، والإعجاز الذي جاءت فيه يؤيد الأنبياء ويُثبتهم في دعوتهم لأقوالهم من خلال بيان صدقهم لأن معجزة كل رسول كانت تأتي وفق مفاهيم قومه لتكون أبلغ في الحجة الواضحة عليهم فيصدقوا بنبوة رسولهم الذي أرسل إليهم .

وإذا استعرضنا معجزات بعض الأنبياء فسيتضح لنا صحة ذلك ، لقد كان السحر منتشراً في زمن فرعون فكانت معجزة موسى عليه السلام من هذا القبيل ، أي من جنس ما صنع سحرة فرعون مع الفارق الكبير بين هذه وتلك . قال تعالى : **(وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ، فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى)**(36) .

ولمّا كان الزمن الذي وجه فيه عيسى عليه السلام زمن المهارات الطبية أيد الله عيسى عليه السلام بمعجزة الإبراء للأكمه والأبرص والإحياء للموتى ، ليقارع قومه بما برعوا به من إبراء المرضى وشفائهم من الكثير من الأمراض ، قال تعالى : **(وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**(37) .

وأيضاً كان الناس في زمن عيسى عليه السلام مولعين بحب المادة حتى أعمت أبصارهم عن التفكير في الحجة فكانت معجزة عيسى عليه السلام صفعة لهم في هذا المجال .

ونحن نقول : إذا كان في قلب العصا أفعى معجزة ، أو في إحياء الموتى معجزة فإن في إحياء أمة كاملة ونقلها من الجاهلية إلى الإسلام ومن التيه والتخبط والانحراف إلى النور والهدى والأمن والاستقرار لا نشك أن هذا العمل أكثر إعجازاً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولما كان الناس مولعين بحب الطبيعة زمن إبراهيم عليه السلام ويقسمونها إلى مصادر نفع ومصادر ضُر ، أيده الله بمعجزات تتعلق بالطبيعة ، وهي تلك النار التي خرقت مفاهيم قومه فأصبحت لا تحرق وذهبت خاصيتها المتعارف عليها لديهم ، قال تعالى : **(قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ)**(38) .

ولما كانت البلاغة والفصاحة والبيان في اللسان العربي هي مجال فخر الأمة التي بعث إليها رسول الله ﷺ اقتضى ذلك أن تكون معجزته الكبرى والخالدة هي هذا القرآن الكريم حيث وصل إلى الذروة من البلاغة والفصاحة والبيان ، مما جعل فرسان العربية وأساطينها يقفون عاجزين أمام تحديه لهم ، بأن يأتوا بمثل القرآن ثم طلب منهم الإتيان بشيء يماثل القرآن ، قال تعالى : **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)**(39) ، ثم دعاهم بأن يأتوا بعشر سور مثله قال تعالى : **(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**(40) ، ثم طلب منهم مؤخراً أن يأتوا بسورة واحدة من مثل القرآن الكريم وهو أقصى ما يمكن من التحدي ، لذا كان آخر صيغ التحدي نزولاً في المدينة المنورة(41) . قال تعالى : **(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)**(42) .

فانظر كيف ألهب القرآن الكريم مشاعرهم ثم أجهز عليهم بالحكم المؤبد ولن تفعلوا ثم هددهم بالنار ثم سواهم بالحجارة ، والحق يقال لو كان فيهم لسان يستطيع المجاراة لما صمتوا عن المنافسة وهم الأعداء الألداء لدعوة الإسلام .

الفصل الأول

الإعجاز التأثيري للقرآن في الناس والجن

مقدمة الفصل

إن أحوال الناس النفسية والاجتماعية والأمنية متعددة ومتغيرة من إنسان لآخر ، فحينما نخاطب إنساناً بأسلوب الدعوة إلى الله ولم نعرف ما في نفسه ، فإننا لا نستطيع أن نصل إلى أعماقه ، كما أن مخاطبة أي داعية لرئيس الدولة مثلاً أو الحاكم أو الأمير ينبغي أن تختلف في الأسلوب والطريقة عن مخاطبته لعامة الناس ، فلا نستطيع أن نخاطب طبقة المثقفين بالأسلوب نفسه الذي نخاطب به عامة الناس والسوقة منهم ، ولذلك فإننا نختار الأسلوب الأمثل لكل إنسان على حسب الحال التي هو عليها ، لكي يتأثر بما يسمع .

بل إن الأمر يمتد أكثر من ذلك إلى الحالة النفسية التي يكون فيها المخاطب فالإنسان الذي في حالة الغضب نتيجة ظرف معين أدى إلى إثارة غضبه لا نخاطبه بالأسلوب نفسه والطريقة التي نخاطبه فيها عندما يكون في حالة نفسية مطمئنة ، فهذا له حديث يتناسب مع نفسيته وحاله والآخر له حديث يتفق مع حاله .

لكن الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم يحيط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعاً الحاكم والمحكوم والقوي والضعيف والعربي والأعجمي والغني والفقير والشقي والسعيد ، يخاطبهم القرآن في حالاتهم النفسية كلها فيؤثر فيهم جميعاً على اختلاف في درجات التأثير ، فمن النفوس من تعود إلى فطرتها ومن النفوس من تُصرّ على انحرافها وكلا النفسين تتفقان في نقطة واحدة وهي الإقرار بقوة تأثير القرآن الكريم في النفوس البشرية.

فالإنسان الغاضب إذا سمع القرآن هدأت نفسه وكذلك الغني والفقير إذا سمع القرآن اهتز في داخل نفسه وزادت سعادته والمثقف وغير المتعلم إذا سمع القرآن تفاعل وجدانه مع القرآن وتأثر بأسلوبه ، ومصداقاً لما وصفناه من أمر القرآن الكريم قوله تعالى: **(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**(43) . حتى إن جلود السامعين للقرآن بتدبر تقشعر وقلوبهم تلين لهذا الذكر الحكيم قال تعالى : **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً**

مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ)(44) .

فعندما يتلى القرآن الكريم على مسامع الناس في المساجد أو البيوت ليلاً أو نهاراً ويستمعون إليه فإنه يهز مشاعرهم ويؤثر في عواطفهم باستجاشتها نحو الآيات التي تتلى فلا يتمالك الواحد نفسه فتنهمر الدموع من عينيه حباً للقرآن وتأثراً بأسلوبه المحبب إلى النفوس على اختلاف البيئة والحالة النفسية والاجتماعية ، قال تعالى : **(قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً)**(45) .

ومن هنا نستطيع أن ندرك مدى الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم عندما نسأل أحد المستمعين للقرآن ما الذي أعجبك في القرآن ؟ غالباً لا يستطيع أن يعطيك جواباً شافياً وإنما سيجيبك كل واحد بجواب يختلف عن الآخر ، وهذا يبرهن على أن الإعجاز قد وصل إلى قلوبهم جميعاً وتغلغل في نفوسهم بما لا يستطيع أن يصفه الواحد منهم الوصف الكامل .

وهذا يبرهن على أن منهم من شعر بالإعجاز البياني وآخر بالغيبي وآخر بالإعجاز التأثيري ، أي أن أسلوب القرآن أثر عليه .

ويجيب الشيخ الشعراوي عن سر ذلك التأثر وهو الذي ترتاح إليه النفس ، أن الله سبحانه يخاطب في النفس البشرية ملكات هو خالقها ، وأن هذه الملكات تتأثر بكلام الله سبحانه وتهتز له دون فارق من فوارق الدنيا(46) .

وكان أول الناس تأثراً بهذا القرآن هو رسول الله ﷺ ومن ثم الصحابة رضوان الله عليهم ثم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رجالاً ونساءً حتى أن الكافرين تأثروا بهذا القرآن فقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فمنهم من تأثر بالقرآن فاستجاب ومنهم من أعرض وتولى نتيجة لعيشه في الجاهلية مدة طويلة فأخذته الحياة الدنيا بزخرفها ولهوها .

المبحث الأول

تأثر الرسول ﷺ بالقرآن الكريم

إن رسول الله ﷺ هو من أكثر الناس تأثراً بالقرآن الكريم ، فكان إحساسه بالقرآن إحساساً مميزاً لا يصل إليه إحساس أحدٍ من الخلق ، وذلك أن مهبط الوحي كان على رسول الله ﷺ بهذا القرآن وهو ثقيل قال تعالى : **(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً)**(47) .

وكان لثقل الوحي وثقل القرآن الأثر البالغ على نفسه ﷺ حتى تكاد تزهق نفسه ويحمر وجهُهُ ويعرق جسدُه ، حتى يتفصد العرق من جبينه في الليلة الشاتية ويثقل جسمه، حتى لتكاد الناقة التي يركبها تبرك ، وإذا جاءت فخذه على فخذ إنسان تكاد ترضُّها ، وربما يسمع له غطيط كغطيط النائم فإذا ما ذهب عنه وجد نفسه واعياً لكل ما سمع من الوحي فيبلغه إلى الناس كما سمعه(48) ، قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)**(49) .

لقد تأثر رسول الله ﷺ هذا التأثر المميز لأنه المخاطب بالقرآن خطاباً مباشراً في الكثير من السور القرآنية ، قال تعالى : **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)**(50) ، وقال تعالى : **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)**(51) ، وقال تعالى : **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)**(52) ، ثم أوضح الحق تبارك وتعالى أنه الأسوة الحسنة للمؤمنين جميعاً ، قال تعالى : **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)**(53).ولِمَ لا يتأثر ﷺ هذا التأثر الخاص ؟ وهو يخبر بخبر السماء فيراه وقد تحقق مثل فلق الصبح فقد رأى أنه سيدخل المسجد الحرام ويؤدي عمرة القضاء وفعلاً تحقق ذلك ، قال تعالى : **(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً)**(54) . وأطلعه الله تبارك وتعالى على كثير من غيب المستقبل عن طريق الوحي وتحقق ذلك ، كالبشرى بانتصار المسلمين على جمع

المشركين وكان ذلك في مكة المكرمة والدعوة مستضعفة ، قال تعالى : **(أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ، سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)**(55) .

ومجمل ما يمكن أن نقوله عن تأثر النبي ﷺ بالقرآن يعجز الوصف عنه ، وسأقتصر على بعض الأمثلة من هذا التأثير للقرآن على خير البرية عليه الصلاة والسلام مستمداً ذلك من كتب التفسير والسيرة والحديث .

كان ﷺ إذا دخل في الصلاة أطال في قراءة القرآن استعذاباً لآياته والعيش في أجوائه ، وربما كان فيه من التعب على من خلفه فقد جاء في الحديث الشريف عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة ثم مضى ، فقلت : يصلي بها في ركعة فمضى ، فقلت : يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً ، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مرّ بسؤال سأل وإذا مرّ بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحواً من قيامه ، ثم قال : "سمع الله لمن حمده" ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد فقال : "سبحان ربي الأعلى" فكان سجودُهُ قريباً من قيامه"(56) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : "اقرأ عليّ" قلت : يا رسول الله ، أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟! قال : نعم ، فقرأت سورة النساء حتى أتيتُ إلى هذه الآية : **(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً)** قال : "حسبك الآن" ، فالتفت فإذا عيناه تذرفان"(57) .

ومن تأثره ﷺ بالقرآن كان محافظاً على قيام الليل وكان يطيل في قيامه حتى تتورم قدماه من شدة القيام ، فقد جاء في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً"(58) .

ولقد التزم ﷺ القرآن خلقاً وعملاً وسلوكاً في الحياة وكان شغله الشاغل فإذا حزبه أمر كان يقدم قول الله تبارك وتعالى حتى أصبح ﷺ في سائر أعماله الترجمة الحية لتعاليم القرآن فقد جاء عن سعد بن هشام قال : انطلقت إلى عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ،

أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن"(59) .

المبحث الثاني

الإعجاز التأثيري للقرآن على الصحابة الكرام

لقد كان للقرآن الكريم الأثر البالغ على الصحابة الكرام لأنهم عاصروا فترة الوحي ، فترة نزول القرآن على قلب الحبيب المصطفى ﷺ ، فيشاهدون تغيراً في وجهه ﷺ ويسمعون أصواتاً كصلصلة الجرس أو كدوي النحل ويحسون بثقل في جسمه ، فقد جاء عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي ، فكادت ترضُّ فخذي(60) .

وكانوا ينظرون إلى النبي عليه السلام بصعوبة عند نزول الوحي عليه بهذا القرآن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "كان رسول الله ﷺ إذا أوحي إليه ، لم يستطع أحد منا أن يرفع طرفه إليه حتى ينقضي وحيه"(61) .

وكيف لا يتأثرون بهذا القرآن وهم يرتقبون في كل ليلة أن يتنزل عليهم من الله وحي يحدثهم بما في نفوسهم ، ويعالج ما يستجد لديهم من مشكلات ، وكان القرآن يتنزل على حسب الأحداث التي تواجه الأفراد أو الأمة بأسرها فيضع الحلول والعلاج الرباني لما يعتور الأمة من أمور ، قال تعالى : **(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)**(62) . نزلت هذه الآية في خولة حينما ظاهرها زوجها فأصبحت لا هي حل له ولا هي مطلقة منه ، فجاءت تشتكي هذه الفعلة السيئة إلى رسول الله ﷺ ، وجاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيءٍ أني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول يا رسول الله أبلي شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك قالت : فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات ، يعني التي في صدر سورة المجادلة(63) .

وحينما قال أهل الإفك ما قالوه عن أم المؤمنين ، وبات الناس في المجتمع الإسلامي بين مصدق ومكذب بهذه الشائعة ، ومرضت عائشة حتى التزمت فراشها عندما

شعرت بإعراض الرسول ﷺ حيث تقول كنت أنظر إلى شفتي رسول الله ﷺ عندما يدخل عليّ البيت هل تتحرك شفتاه برد السلام ، ورسول الله ﷺ يقول لها : إن كنت بريئة فسيبرئك الله وبعد شهر من اندلاع هذه الشائعة نزلت براءة أم المؤمنين من السموات العلا ، قال تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**(64) .

وحينما حاول يهود إحداث الفتنة بين الأوس والخزرج بعدما أسلموا وتناسوا ما كان بينهم في الجاهلية من ثارات وأحقاد وعقدوا بينهم الأخوة والمودة والتراحم غاظ ذلك يهود فدسوا عليهم شاباً من يهود يذكرهم بما كانوا عليه في الجاهلية ، فتحركت فيهم النعرات الجاهلية القديمة حتى حميت نفوسهم وتصايحوا يا للخزرج ويا للأوس حتى بلغ الخبر إلى النبي ﷺ فخرج إليهم مسرعاً وهو يقول : "الله الله يا معشر الأنصار أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم دعوها فإنها نتنة" فعلموا أنها نزعة من الشيطان ومكر من يهود وألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وبسبب تلك الحادثة نزل القرآن معالجاً لهذه الحادثة ، قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**(65) (66) .

وكان القرآن ينزل فيكشف ما في نفوسهم من أسرار وخواطر ، قال تعالى : **(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)**(67) ، ولقد تحدث صاحب الظلال فقال : "إن الفترة التي استمرت فيها الصلة المباشرة بين البشر والملأ الأعلى ، فترة لا يتصور حقيقتها إلا الذين عاشوها وأحسوها وشهدوا بدأها ونهايتها ، وذاقوا حلاوة هذا الاتصال ، وأحسوا يد الله تنقل خطاهم في الطريق"(68) .

وحينما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وانقطع الوحي ، انقطع اتصال الأرض بالسماء بكى الصحابة رضوان الله عليهم هذا الانقطاع وانتهاء خبر الوحي لأنهم يدركون حلاوته .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ : انطلق بنا إلى أمِّ أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما أتيا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ؟ قالت : بلى إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها"(69) .

وظل تأثير القرآن على النفس البشرية من تلك اللحظة التي نزل فيها وإلى هذه اللحظة وإلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها .

وسأذكر بعض النماذج من تأثر الصحابة رضوان الله عليهم بهذا القرآن الكريم وهي كالتالي :

أولاً : لقد كان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً أسيفاً – أي رقيق القلب – إذا قرأ القرآن بكى لأنه يشعر بحلاوة وعذوبة ولذة القرآن فلم يتمالك نفسه فيجهش بالبكاء عند قيامه بالقرآن ، فعندما همَّ أبو بكر الصديق بالهجرة إلى الحبشة لقاه ابن الدُّغنَّة ، فقال : إلى أين يا أبا بكر قال : مهاجرٌ في سبيل الله . قال : والله ما مثلك يخرج من هذه الديار لأنك تعين على نوائب الحق وتصل الرحم وتقري الضيف وترعى حقوق الجار فارجع فأنت في جواري ، فرجع أبو بكر في جوار ابن الدُّغنَّة وأخذ يقرأ القرآن ، ويجتمع إليه أبناء الكفار وفيهم الصبيان والنسوة يستمعون إليه مما غاظ أسيادهم ، فطلبوا من ابن الدُّغنَّة رد جواره أو منعه من قراءة القرآن خشية أن يؤثر القرآن على غلمانهم ونسائهم ، وأصرَّ أبو بكر على قراءة القرآن وقَبِلَ بجوار الله ورد إلى ذلك المشرك جواره(70) .

وكان أبو بكر رضي الله عنه معروفاً بكثرة البكاء عند قراءة القرآن نتيجة لتأثره بألفاظ القرآن الكريم ويؤيد ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قيل له في الصلاة ، قال : "مروا أبا بكر فليصل بالناس" فقالت عائشة رضي الله عنها : إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قرأ القرآن غلبه البكاء ، فقال : "مروه فليصل"(71) .

ثانياً : أما عن تأثر الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب بالقرآن الكريم فله مواقف كثيرة في هذا الشأن ، فهو الذي آمن بالإسلام منذ سماعه لآيات من القرآن تتلى فأثرت

في مشاعره وأحاسيسه فاستجابت فطرته لهذا القرآن ، فحدث التغيير في حياة هذا الرجل الذي أصبح خليفة للمسلمين بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

يروي أصحاب التفسير والسير قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بروايتين يتضح فيهما تأثير القرآن المباشر على نفس عمر رضي الله عنه فحدثته نفسه لتوها بالدخول في الإسلام فدخل في هذا الدين وعُزَّ الإسلام بإسلام عمر رضي الله عنه .

الرواية الأولى : تقول إن عمر كان مباعداً للإسلام وصاحب خمر في الجاهلية ، وكان له مجلس يضم رجالات قريش ، ففي يوم من الأيام قال في نفسه : سآتي المجلس وأتسامر مع أقراني ونتساقى الخمر فذهب إلى ذلك المجلس فلم يجد أحداً ، فقال : إذن أذهب إلى الخمار فذهب فلم يجده ، فكان قراره الأخير بأن يذهب إلى الكعبة ليطوف بها ، فوجد الرسول ﷺ قائماً يصلي ، فقال في نفسه : سأستمع إليه دون أن يشعر بي ، فدخلت تحت أستار الكعبة حتى لا أروعه واستمعت للقرآن فرق له قلبي ودخلت في الإسلام(72) .

الرواية الثانية : تذكر الرواية أن عمر بن الخطاب كان حاملاً سيفه قاصداً قتل الرسول ﷺ فلقيه في طريقه نُعيم بن عبد الله ، فقال له : إلى أين يا عمر ؟ فقال : أريد محمداً حتى أقتله ، فقال : وما شأنك ومحمداً ، هلا رجعت إلى أهل بيتك أختك فاطمة وزوجها سعيد ، فإنهما قد صبئا ، فعاد عمر إلى بيت أخته وسمع قراءة تنبعث في البيت كان مصدرها خباب بن الأرت عليه رحمة الله يعلمهم القرآن ، فما أن طرق الباب وسأل عن مصدر الصوت ، إذ بأخته تنكر وجود أحدٍ في البيت ، فما كان منه إلا أن بطش بها ، وقال : أعطوني الصحيفة التي كنتم تقرأون منها ، فقالوا له : لا يمسها إلا المطهرون ، فاذهب لكي تتطهر ، فاستجاب لذلك ، ثم أخذها وبدأ يقرأ في الصحيفة التي فيها آيات من صدر سورة طه ، قال تعالى : **(طه ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ، إلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ، تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ، وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)** (73) ، ولم يتمالك عمر بن الخطاب نفسه أمام هذه القوة القرآنية المؤثرة ، بل وجد نفسه مدفوعة إلى الإيمان بهذا الدين فدخل في الإسلام(74) .

وكان الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه لا يشبع من قراءة القرآن وكان يقطع الليل قرآناً وتسبيحاً ، حتى اليوم الذي قُتل فيه كان يقرأ القرآن ، وقُتل وهو صائم والمصحف في حجره حتى سال عليه الدم رحمه الله رحمة واسعة في الدنيا والآخرة(75) .

وكان أُبيُّ بن كعب يبكي إذا قرأ القرآن لما للقرآن من قدرة تأثيرية على قلب هذا الصحابي ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب : "إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن" قال : آلله سمّاني لك ؟ قال : "نعم" . قال : وقد ذُكرت عند رب العالمين ؟ قال : "نعم" ، فذرفت عيناه(76) .

وهكذا كان تأثر الصحابة رضوان الله عليهم بهذا القرآن تأثراً عظيماً حتى شمل عليهم جميع مناحي حياتهم الخلقية والاجتماعية والعبادية وأثناء حروبهم مع الأعداء .

المبحث الثالث

تأثر أولياء الله بالقرآن

لقد كان للقرآن الكريم أثر عظيم في النفوس المؤمنة وهيمنة ظاهرة في حياتهم قديماً وحديثاً مما أدى إلى تحويل المفاهيم والسلوك باتجاه الإسلام ودستوره الخالد القرآن الكريم فأخذ الناس يتحولون من حياتهم الضيقة الجاهلية إلى حياة الإسلام الرحبة الواسعة، تحولوا من حبهم للعادات السيئة إلى حب القرآن الكريم فكان شغلهم الشاغل حتى شمل جميع حياتهم عملاً وتطبيقاً ، قال تعالى : **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)**(77) .

وهكذا انشغل الناس بالقرآن وأصبح للناس مقاييس يقيسون بها الأمور والأشخاص ، وكلما كان الإنسان قريباً من الله ملتزماً بالقرآن الكريم كلما زاد قدره وارتفع شأنه في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)**(78) وقال تعالى : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**(79).

إنه دون شك ، ولأول مرة في تاريخ البشرية يتم التغيير بكلمات أو كتاب ينزل فيؤثر في قلوب الذين آمنوا ، فيحدث مثل هذا الأثر العظيم الناتج عن انقلاب شامل في الحياة بأسرها ، سواء في عالم القيم والأخلاق أو في مجال البناء والعمران والحضارة ، حدث ذلك في فترة تُعتبر قصيرة في عمر الزمان ، عندما تفاعلت النفوس المؤمنة بالقرآن الكريم فالتقت روح القرآن بأرواحهم عندما التقت الأرض بالسماء وأصبح الناس يستقون مناهج حياتهم من السماء لا من الأرض من الله وليس من البشر وحينئذ حصل الإصلاح العام في جميع مجالات الحياة ، قال تعالى : **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً)**(80) .

وإذا انحرفت الأمة عن منهجها القويم وتحققت زحزحتها عن حقيقة العقيدة الإسلامية فهي أمة خواء ميتة لا حياة فيها لبعدها عن كتاب ربها ، قال تعالى : **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** (81) .

وبهذا يتضح تأثير القرآن الكريم على أبناء الأمة لأنه روح يبعث فيهم العزة والكرامة والأمل المشرق والحياة الكريمة في ظل مجتمع الإسلام الذي تسوده كل معاني الإنسانية الرفيعة . قال تعالى **(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** (82) . إن قوانين البشر أو الأفكار الأرضية وسيلتها في الإصلاح إمّا أن تبدأ بالصغار من الناس أو بالكبار ولكن الإسلام بدأ بهما جميعاً ، ففي الوقت الذي حمل الإسلام الصغارُ حمله الكبارُ بدون قهر أو إكراه وإنما عن حب وطواعية ، قال تعالى : **(لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**(83) .

إن الإصلاح العام الذي وضعه الإسلام نصب عينيه لهو أمر جد ثقيل ، لذلك اعتمد أسلوب البناء بناء النفوس على الإيمان عندما تأثرت بعقيدة السماء فطابت نفسها بتبعات وتكاليف أكثر ، وذلك لتذوقهم حلاوة الإيمان والعمل للإسلام ، جاء في الحديث

الشريف عن جابر رضي الله عنه قال : قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد : أرأيت إن قتلت فأين أنا ؟ قال : "في الجنة" فألقى تمرات كن في يده ، ثم قاتل حتى قتل"(84) .

ورُوي أن عمر بن عبد العزيز كان حسن الصوت بالقرآن ، خرج ذات ليلة يصلي في المسجد فجهر بصوته ، فاجتمع الناسُ ، فأرسل إليه سعيد بن المسيب : فتنت الناس ، فلم يعد لذلك .

وقد تؤثر آية واحدة في نفس الإنسان عند سماعها فيسارع إلى الدخول في الإسلام حيث ذكر صاحب الإصابة خبراً يذكر فيه أن جُبير بن مطعم قدم على رسول الله ﷺ ولم يكن أسلم بعدُ في صلاة الفجر ، قال : فلما انتهى إلى قوله تعالى:**(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ)**(85) قال:خشيت أن يدركني العذاب فأسلم(86). وهذه النفوس التي أسلمت لتأثرها بالقرآن الكريم وقناعتها بالإسلام هي التي كانت تتسابق في فعل الخيرات وإعمال القتل في أعداء الله والإنسانية حتى تحقق النصر ، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال : "من يأخذ مني هذا ؟ فبسطوا أيديهم كل إنسانٍ منهم يقول : أنا أنا ، قال : "فمن يأخذه بحقه ؟" فأحجم القومُ فقال أبو دجانة رضي الله عنه: أنا آخذه بحقه ، فأخذه ففلق به هام المشركين"(87).

المطلب الأول

تأثير القرآن الكريم في نفوس النساء

لقد تأثر العديد من النساء قديماً وإلى يومنا هذا بالأسلوب القرآني فقدَّمن الكثير وشاركن في مجال البناء والإعمار ، بناء الحياة على أسس ومباديء الإسلام وضربن أروع الأمثال في التضحية والفداء ، وما نشاهده من المرأة المسلمة في فلسطين ما هو إلا حلقة من حلقات الجهاد في سبيل الله بدأتها خديجة أم المؤمنين وأم نسيبة والخنساء عليهن رضوان الله تبارك وتعالى .

نضرب مثالاً من حياة الخنساء رضي الله عنها التي كانت في جاهليتها عنواناً للرثاء والتضجر والبكاء وشق الثياب ولطم الخدود إذا ما أصابتها جائحةٌ أو أحلت بقومها مصيبة ، ومن جملة ما قالته في رثاء أخيها صخر ، قالت :-

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره بكلِّ غروبِ شمسٍ

ولولا كثرة الباكين حولـــــي   على إخوانهم لقتلت نفسي

وعندما دخل الإيمان قلبها واستشعرت نفسها روح القرآن الكريم وتذوقت حلاوته، حدث التغيير الشامل في حياة هذه المرأة ، ويحدثنا التاريخ أنها شهدت معركة القادسية ، وفي ليلة المعركة جمعت أبناءها الأربعة فأخذت منهم العهد على قتال الأعداء وأن لا يفروا من المعركة ، ويصلها خبر استشهادهم فلم تشق جيباً بل كان مما قالته : "**الحمد الله الذي شرفني باستشهادهم جميعاً وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته**"(88) .

واليوم نشاهد الأم الفلسطينية المؤمنة الصابرة وهي تتلقى خبر استشهاد ابنها فلذة كبدها بالزغاريد والدموع التي تتدفق عنواناً للرحمة ، وهي تتخذ الصحابيات الأسوة الحسنة كمثل أم حارثة ، عن أنس رضي الله عنه أن أمَّ الربيع بنت البراء وهي أمُّ حارثة بن سُراقة أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قُتل يوم بدر – فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ، فقال "يا أم حارثة إنها جنانٌ في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى"(89) .

وحينما تفيض دموع أمهات الشهداء ، فإنها عنوان للرحمة حيث إن عيني رسول الله ﷺ انهمرت منهما دموع الرحمة عندما توفي ولده إبراهيم ، فقد جاء عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟! فقال: "يا ابن عوف إنها رحمةٌ" ثم أتبعها بأخرى ، فقال : "إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون"(90) .

المطلب الثاني

مظاهر تأثير القرآن في النفوس المؤمنة

لقد اتضح مدى تأثير القرآن العميق في النفس المؤمنة التي آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، وهذا التأثير نستطيع أن نحصر مظاهره في الآتي :-

1- لقد تنافس المسلمون في حفظ القرآن الكريم وقراءته حتى أنهم سهروا ليلهم وضحوا براحتهم في سبيل التغني بهذا القرآن وذلك لأن هذه القلوب مستها شعلةُ الإيمان فأصبحت مفعمة بالنشاط والحركة والعمل .

وتَفَاضُل الصحابة كان مبنياً على تفاوتهم في حفظ القرآن حيث كان الكل يعتز بمقدار ما يحفظ من القرآن الكريم لأنه يعتقد أن القلب الخالي من القرآن كالبيت الخرب ، جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخرب"(91) .

وكان ينبعث من بيوتهم ليلاً دوي كدوي النحل وذلك لقيامهم بالقرآن ، قال تعالى: **(كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِالأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)**(92) .

ولم يكن حفظ القرآن مقتصراً على الرجال فقد شاركت النساء في الحفظ ، فمنهن من كانت تحفظ بعض سوره ومنهن من كانت تحفظه بكامله مثل عائشة وحفصة وأم سلمة ، وأم ورقة التي كانت تحفظ القرآن وتؤم في أهل بيتها وسماها رسول الله ﷺ الشهيدة ، فقال عمر صدق رسول الله ﷺ كان يقول : "انطلقوا بنا نزور الشهيدة (93)" (94).

2- تنفيذ المسلمين أوامر القرآن وتعاليمه تاركين كلَّ ما كانوا عليه من قبل ، وهذا ناتج عن استشعارهم لقيمة القرآن والتأثر البالغ بأسلوبه وأهميته في حياتهم ، فأيقنوا أن تغيير أحوالهم ينبغي أن يكون بطاعة الله والعمل بمقتضى هذا الدين فطابت نفوسهم فضحوا بأموالهم وأجسامهم لينالوا الشهادة في سبيل الله وسخت أيديهم بالعطاء والبذل والتضحية والفداء فأصبحوا أساتذة للعالم ونبراساً يُقتدى بهم وروواداً للإنسانية في عالم القيم والأخلاق سلماً وحرباً .

3- تربية الصحابة الكرام على حب الإسلام والدفاع عنه والعمل على نشره في أرجاء الأرض ، فمنهم من قضى نحبه في سبيل الله ، ومنهم من تمنى أن تكون وفاته في ساحات المعارك والجهاد ، قال تعالى : **(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)**(95).

وقصة الصبيان الصغار الذين كانوا أقل من سن الجندية ومع ذلك أصرّوا على الجهاد مع رسول الله ﷺ فهذا يدل على روح الإيمان التي سرت في نفوسهم ، ولذلك

قدموها في سبيل الله رخيصة ، ويعيد التاريخ نفسه مع أطفال الحجارة في فلسطين حينما يواجهون المحتلين بحجارتهم وصدورهم المفعمة بالإيمان وبعدالة قضيتهم ، ولقد أجاز رسول الله ﷺ يوم أحد سَمُرة بن جندب ، ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردّهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعاً رامٍ فأجازه ، فلما أجاز رافعاً ، قيل له: يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه للقتال (96) .

4- النجاح الذي أحرزه القرآن الكريم في هداية العالم في جميع مناحي الحياة ، السياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والجهادية ، لم يُعهد من قبل ، فالمجتمعات البشرية شهدت الكثير من المصلحين والمفكرين والفلاسفة والعلماء والأنظمة والحكومات فلم يحدث من هؤلاء مثلما أحدثه محمد ﷺ بهذا القرآن فما حدث قد فاق كل هذه الدعوات التي شهدتها البشرية عبر تاريخها الطويل ، فهي تُصرِّح بحاجتها إلى رجل مثل محمد ﷺ ليحل مشاكلها وهي في أمسِّ الحاجة إلى ذلك ، فالحياة البشرية كالقفل الذي استعصى عليه كل المفاتيح إلا مفتاحٌ واحدٌ هو الذي يصلح ألا وهو القرآن الكريم .

المبحث الرابع

الإعجاز التأثيري للقرآن في نفوس الكافرين

لقد تحدى القرآن الكريم الكافرين من أهل مكة في بداية الأمر وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا عن الإتيان بمثله ، قال تعالى : **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)** (97) ، ثم تدرج معهم القرآن الكريم بطلب الأقل وهو عشر سور مثيلة لسور القرآن ، قال تعالى : **(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** (98) ، والمقصود بكلمة (مفتريات) إشارة إلى أن المطلوب عشر سور مثل سور القرآن في البيان والفصاحة ما داموا قد زعموا أن هذا القرآن مفترى فكُلفوا بنحو ما قالوه(99) ، ثم تدرج معهم تارة أخرى فطلب منهم أن يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن ، قال تعالى:**(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**(100) .

ثم وقع التحدي في سورة البقرة بنفس القدر ، فطلب منهم أن يأتوا بشيء مما يماثل السور القرآنية ، فكأنه يقول لهم : لا أكلفكم بالمماثلة التامة بل حسبكم أن تأتوا بشيءٍ فيه جنس المماثلة ، ومع ذلك عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله ، قال تعالى : **(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)**(101) ، وأُسقط الأمر في أيديهم ووقفوا عاجزين أمام القرآن الذي أفحمهم بأسلوبه فأيقنوا في قرارة أنفسهم أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق من عند ربهم ، ولكن العناد والاستكبار في الأرض بغير الحق هو الذي حال بينهم وبين الهداية واتباع سبيل النجاة .

لقد شعر الكافرون بعجزهم وضعفهم أمام القرآن ، وحلاوة أسلوبه وعذوبة بلاغته ، فتأثروا به تأثراً عظيماً ، ويبرهن على هذا التأثر الروايات الآتية :-

1- لقد استمع إلى القرآن ثلاثة من زعماء قريش على ثلاثة أيام متوالية وكانوا في كل مرة يتواعدون على عدم العودة خيفة أن يراهم الناس فيقع في نفوسهم شيءٌ ، وكان الذي يدفعهم في كل مرةٍ إلى سماع القرآن هو تأثيره في نفوسهم . ولكن العصبية المقيتة والاعتبارات العائلية هي التي تجعل رجلاً كأبي جهل (عمرو ابن هشام) يأبى أن يسلم بالحق الذي يستشعره في الرسالة الإسلامية لأن محمداً ﷺ من بني عبد مناف وهؤلاء الثلاثة هم : أبو جهل والأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زُهرة وأبو سفيان بن حرب خرجوا ثلاث ليال يستمعون القرآن خفية ، وهم في كل ليلة يتواعدون على عدم العودة خيفة أن يراهم الناس فيقع في نفوسهم شيء ، فلما سأل الأخنس أبا جهل رأيه فيما سمع من محمد كان جوابه : "ماذا سمعت ؟" تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه !"(102) .

2- لقد تأثر عتبة بن ربيعة عندما قرأ الرسول ﷺ على مسامعه صدر سورة فصلت فتأثر بها وذهب إلى قومه متغير الوجه ، فقد ذكر أهل التفسير والسيرة أن عتبة قال : يا

معشر قريش : ألا أقوم إلى محمد فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك بعد إسلام حمزة فقالوا : يا أبا الوليد قم إليه فكلمه ، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي ، إنك منّا حيث علمت من السطة – المنزلة الرفيعة – في العشيرة ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً . فقال له ﷺ : "قل يا أبا الوليد أسمع" ، قال : يا ابن أخي ، إن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، حتى فرغ عتبة ، فقال له النبي ﷺ : "فاسمع مني" فقرأ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : **حم ، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ)** حتى قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى : **(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ)** فقام عتبة مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله ﷺ يقول : أنشدك الله والرحم يا محمد وذلك مخافة أن يقع النذير ، وقام إلى أصحابه ، فقالوا : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قال : لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فإن يظهر على العرب ، فمُلكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم"(103) .

3- لقد ذكر ابن جرير الطبري : إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فرقّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل عمرو بن هشام فأتاه ، فقال له : أي عم ؟ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ؟ قال : لمَ ؟ قال : يعطونكه – يريد بذلك استثارة الوليد بن المغيرة – فأجابه الوليد : لقد علمت قريش أني أكثرها مالاً ، فقال له لا تقبل قريش منك تبريراً إلا إذا قلت في محمد قولاً ، فقال له : وماذا أقول فيه ؟ .

والله إن كلامه لحلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلوا وما يُعلى ، قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ... قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكّر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر(104) فنزلت الآيات القرآنية ترسم هذا المشهد وتُبيِّن ملامح الوليد بن المغيرة وهو يفكر ويقدر تارة وهو ينظر بعبوس وأخرى وهو مُدبر عن الحق ، ويقول : إن هو إلا سحر يؤثر على باقي الأسحار ، قال تعالى : **(ذَرْني وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ، وَبَنِينَ شُهُوداً ، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، كَلا إِنَّهُ كَانَ لآياتنَا عَنِيداً سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ)**(105) .

4- ولقد أثر القرآن الكريم على نفوس المسلمين والمشركين حينما قرأ ﷺ سورة النجم أمام جمع منهم ، وعندما وصل إلى السجدة في نهاية السورة لم يتمالك الجميع أنفسهم فخروا لله سُجداً غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيراً لم يستطع السجود فرفع ملء كفه تراباً فسجد عليه . يقول صاحب الظلال : وأدركت في هذه اللحظة أن حادثة السجود صحيحة ، وأن تعليله قريب ، إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن ولهذه الإيقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة(106) .

والقاسم المشترك في هذه الروايات وفي غيرها هو الإقرار من الجميع بالحق المتمثل في القرآن الكريم وأن للقرآن تأثيراً على النفوس كما تبين واتضح من خلال استعراضنا للروايات السابقة ، ولهذا السبب حارب كفار مكة سماع القرآن الكريم حتى لا يصل إلى الناس فيتأثروا به ، فنزل فيهم قول الله تعالى **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)**(107) .

وقد أدركوا اللحن الموسيقي لآيات القرآن الكريم أنه سببٌ في التأثير عليهم واستمالتهم للإيمان بالإسلام ، فأخذوا يلوون ألسنتهم بما يلفقونه ليحسبه الناس من الكتاب وما هو من الكتاب قال تعالى : **(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ**

الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (108) .

إن القرآن الذي أثر في القلوب قديماً فأنشأها على التقوى والإيمان ، هو القرآن الذي يؤثر في ضمائر الناس وقلوبهم حديثاً فيصنع منها مثل تلك النماذج الإنسانية الرفيعة وإلى يوم الدين .

المبحث الخامس

الإعجاز التأثيري للقرآن على غير الناطقين بالعربية

إن للقرآن الكريم سلطاناً قاهراً على القلوب المؤمنة والقلوب غير المؤمنة على السواء ! فما أن يسمع الإنسان آيات من القرآن الكريم تتلى على سمعه ، حتى يحس في نفسه وقعاً خاصاً ، ويحس لها في وجدانه تأثيراً عجيباً لا يقاوم ، بينما هذا الحس لا يجده في غير آيات القرآن الكريم . وهذه الخاصية التي امتاز بها القرآن تتمثل في نظمه البديع وبلاغته وقوة الحجة فيه حتى إن الجرس الموسيقي للآيات أصبح يؤثر في سامعيه مهما كانت عقائدهم ومستوياتهم الاجتماعية وحتى لغاتهم ، وهذا يبرهن على أن الإيمان بالقرآن يكمن في سماعه ، لأن من يستمع إليه يتأثر به ومن ثم يؤمن بهذا الدين ، ولهذا كانت أول أساليب الدعوة إلى الإسلام هي توصيل هذا القرآن إلى الناس سماعاً ، قال تعالى : **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ)**(109) .

إن القرآن الكريم يملك سراً خاصاً معجزاً حتى أنه يؤثر بمجرد تلاوته على الذين لا يعرفون من اللغة العربية حرفاً ! كما أنه يؤثر في عوام الناس ومثقفيهم عندما يستمعون إلى آياته ، لأنه يطرق قلوبهم إيقاعه ، قبل أن يطرق عقولهم ، ويظهر على ملامحهم علامات هذا التأثر بمجرد السماع لموسيقى القرآن الكريم والتلذذ بنغمة الكلمات والجمل والآيات في سوره المتعددة(110) .

ويقول صاحب كتاب مع القرآن : "وبلغنا أن بعض الأوروبيين – وهم لا يعرفون العربية ، ولا يفهمون معنى الآيات – كانوا يطربون لسماع القرآن ، حتى آمن بعضهم بمجرد السماع للقرآن من المذياع ، وبعضهم آمن لسماع القرآن من حجرة مجاورة لساكن

معهم ، أو لسماعه من جماعة يصلون في حديقة ... وهكذا نجد أثر القرآن واضحاً جلياً في جذب الناس إلى الإسلام وتحويلهم من الكفر إلى الإيمان(111) .

وفيما يلي سأذكر بعض الوقائع التي تشهد بتأثير الجرس الموسيقي للقرآن على سامعيه من غير الناطقين للغة العربية .

1- ذكر صاحب "في ظلال القرآن" أن الله سبحانه يسر له ولستة من المسلمين أن يصلوا صلاة الجمعة على ظهر السفينة فقام بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة وبعض الركاب الأجانب متحلقون يرقبون صلاتنا ! وبعد الصلاة جاءنا كثيرون يهنئوننا على نجاح "القدَّاس" – أي الصلاة – ومن بين هؤلاء سيدة يوغسلافية مسيحية كانت شديدة التأثر والانفعال ، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها ، جاءت تقول : أنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا وما فيها من خشوع ونظام وروح ! وما سمعته من إيقاع موسيقي عجيب ، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً ، فقد كانت ترد في أثناء الخطبة فقرات من نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في نفسي رعشة وقشعريرة ! ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة ، وفي أثناء الصلاة وكانت مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً(112)

2- الحقيقة أن قصص أولئك الذين اعتنقوا الإسلام بمجرد سماعهم القرآن في العصر الحديث كثيرة منها أن رئيس البعثة الإسلامية الإنجليزية محمد جون ويستر يقول : ولدت في لندن ونشأت مسيحياً بروتستانتياً وفي سنة 1930م في العقد الثاني من عمري واجهتني المشاكل التي كثيراً ما يلقاها شاب ذكي يستعمل عقله ، وهي ترتبط أساساً بالملاءمة بين شئون الحياة اليومية ومقتضيات الدين . ولا أستطيع أن أعبِّر في كلمات عن مدى تأثيري بمجرد تلاوتي لأول سورة في القرآن الكريم ، سورة الفاتحة بآياتها السبع ، ثم قرأت عن حياة محمد ﷺ وشاء فضل الله أن أكون مسلماً مع أنني لم أكن من قبل قد التقيت بمسلم .

وبينما أنا أسير في الطريق إذا ببصري يقع على بناء خلف بناء مرتفع من الطوب الأحمر مكتوب عليه "مسجد المسلمين" فقلت لنفسي على الفور : "أما وقد عرفت

الحق فعليك اتباعه على الفور" فأعلنت قولي "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وبذلك أصبحت بفضل الله من المسلمين(113) .

3- إن القرآن هو القرآن بأسلوبه ونظمه وقوة تأثيره على النفوس ، فكما أسلم لسماعه الكثير من الصحابة والتابعين نجد اليوم يسلم لسماعه خلق كثير ممن لا يتحدثون العربية في البلاد الأوروبية وغيرها من دول العالم .

يتحدث كات استيفن المغني الإنجليزي السابق الذي أصبح اسمه بعد الإسلام "يوسف إسلام" : لقد عشت فترة طويلة من التيه والضياع والحيرة والقلق فأخذت أقرأ في الأديان كلها من هندوكية إلى بوذية إلى كنفوشية وقرأت أيضاً الفلسفات الشرقية بحثاً عن الحقيقة ، وعندما قرأت في القرآن سورة الإخلاص **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)**(114) ، وفهمت بالإنجليزية ، إله واحد ليس له أولاد، ولا زوجة ، ولا يماثله شيء شعرت بالسهولة والوضوح ، وهذا ما كان يخالجني قبل ذلك، إنه كلام واضح عقيدة واضحة حيث إن كل شيء في السابق كان غامضاً مبهماً .

ثم يمضي فيقول : كنت أقرأ في سورة يوسف ، وفي وسطها وجدت موقفاً عجيباً فطر قلبي ... عندما دخل إخوة يوسف عليه وهو في مصر وقد فعلوا معه كل شيء سيء ، ثم يتمادون في سوئهم عندما قالوا عن أخيهم الثاني : **(قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ)**(115) . لم يقل يوسف شيئاً رغم علمه بكذبهم ولكنه ترفع عن هذا المستوى وقال لهم : **(قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)**(116) موقف هز مشاعري ، وفطر قلبي وأبكاني ... لم أشعر وأنا أقرأ إلا والدموع تتساقط من عيني(117).

4- تتحدث رئيسة قسم اللغة العربية ببوخارست أنها كانت في جمهورية الجزائر وبدأت تتعلم اللغة العربية بتعلّم اللهجة الجزائرية ، وصادفها وهي هناك ، أنت كانت في قرية جهة الصحراء ، وكان الفصل صيفاً قائظاً والهواء ساكناً والذباب منتشراً ، يزيد من ضيق الناس ، وكان الوقت أصيلاً وقد ارتفع صوت المذياع بتلاوة أحد المقرئين ، قُبيل ساعة من مدفع الإفطار في شهر رمضان ولم تلبث أن استقر بها المكان أن زايلها

ضيقها وإحساسها بالذباب وبالطقس ، وذكرت أنها لم ترتح نفسها إلا عندما تستمع لصوت المقريء .

وتقول لقد لاحظت ذلك على الناس حتى الغنم والماعز التي انتشرت أمام الخيام والمنازل ، فقد استكانت هي أيضاً وبدأت مسترسلة في سعيها مطمئنة وادعة (118) .

وهكذا نشاهد ونلمس هذا السلطان العجيب والتأثير الغريب للقرآن الكريم في دفع الناس لاعتناق الإسلام نتيجة لسماع بعض النصوص القرآنية بقلب مفتوح وفطرة سليمة . فهذا لون من إعجاز القرآن الكريم يُثبت للناس جميعاً أن هذا القرآن ليس من صنع البشر يقيناً وإلا فلماذا أثر هذا التأثير البالغ دون الكتب العربية على اختلاف أنماطها ومستوياتها ، قال تعالى : **(ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ)**(119) .

المبحث السادس

الإعجاز التأثيري للقرآن في الجن

إن الجن من العالم الناطق الآخر المميز ، فهم يأكلون ويتناكحون ويتناسلون ويموتون قال تعالى : **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً)**(120) ، وأشخاصهم محجوبة عن أبصار الناس ، قال تعالى **(يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ)**(121) .

وهم مكلفون بالعبادة إلى الله تبارك وتعالى كمثل بني آدم ، قال تعالى : **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ (122))**(123) .

وأعجزهم القرآن بتحديه لهم كما أعجز الناس ، قال تعالى : **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)**(124) .

والقرآن الكريم لم يكن مؤثراً في أسلوبه على عالم الإنس فحسب بل تجاوزهم إلى عالم الجن فعندما استمعوا إلى القرآن الكريم من قراءة رسول الله ﷺ أثر فيهم لأنهم تذوقوا حلاوة القرآن وأدركوا روعتـه ، وأدهشهم الأسلوب القرآني بما يحوي من حقائق

واضحة لديهم ، قال تعالى : **(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ)**(125) .

ويظهر هذا التأثر عندهم من خلال قولهم "أنصتوا" فهي تعني الدهشة والإعجاب والحرص على أن يسمعوا كل كلمة طوال مدة الاستماع فقد استمعوا صامتين منتبهين حتى نهاية التلاوة ، فلم يلبثوا حتى سارعوا إلى قومهم منذرين بهذه السرعة في جد واهتمام ، دلالة واضحة على الحالة التي ملأت مشاعرهم بمؤثر قاهر غلاب ، دفعهم إلى الحركة والدعوة إلى الإيمان بهذا القرآن الكريم(126) ، قال تعالى : **(قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ)**(127) .

أوضحت الآية أنهم كانوا يعرفون كتاب موسى فأدركوا العلة بين الكتابين بمجرد السماع لآيات القرآن وأدركوا الحقائق التاريخية وخاصة أنهم كانوا يُعمّرون طويلاً وعندهم القدرة على التشكل(128) ، ولكنهم لا يتمثلون بصورة النبي ﷺ حيث جاء في الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : "**من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي ولا بالكعبة**"(129) .

كما أنهم يملكون السرعة في الحركة فيتنقلون من مكان إلى مكان بسرعة خاطفة، قال تعالى : **(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ، قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)**(130) .

ولما وصلت دعوة الله إليهم انقسموا إلى فريقين فمن حسنت فطرته وزكت نفسه استجاب وأحب سماع القرآن ، ومن لم تستجب فطرته للهدى ضلَّ وكان من الكافرين ، قال تعالى : **(وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً ، وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً)**(131) ، ويشهد لحسن استماعهم للقرآن وعمق التأثر به ، واستجابتهم الفورية بدون تلكؤ ومماطلة حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه جابر قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة "الرحمن" من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : "لقد قرأتها على الجن ليلة الجن – وهي التي دعي فيها ليقرأ عليهم

القرآن – فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلمـــا أتيت على قوله : **(فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)** قالوا : "لا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد"(132) .

ومن أثر القرآن على عصاة الجن أنهم ينفرون من البيوت التي يقرأ فيها القرآن الكريم ، ويؤيد ذلك ما جـــاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **"لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"**(133) .

والقرآن الكريم يحفظ المؤمنين من همزات الشياطين وذلك لما للقرآن من تأثير على الجن ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "من قرأ الآيتين من آخر البقرة في ليلة كفتاه"(134) . وفي قوله تعالى : **(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)**(135) .

إن الاستعاذة تعني الاعتصام والالتجاء بالله جل شأنه من همز ونفث الشيطان المطرود من رحمة الله وأرى أننا في أمس الحاجة في هذا الزمان أن نكثر من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فنتلفظ بها ليس عند قراءة القرآن فقط بل عند القيام بجميع أعمالنا في هذه الحياة .

وقراءة المعوذتين : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، تؤثر في شياطين الجن وهي حرز للمؤمن من همزاتهم أيضاً ، فقد جاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قـــال : "يا ابن عبـــاس ألا أدلـــك أو ألا أخبـــرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس هاتين السورتين(136) .

كما أن ذكر الله تعالى يؤثر على الجن فيجعلهم لا يستطيعون إيقاع الضرر بمن يذكر الله تعالى لأن الشيطان يخنس عند ذكر الله ، وذكر الله يتمثل في قراءة القرآن الكريم أو قول "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير يرددها سبع مرات أو أكثر، وأن يُكثر من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" ، وهناك أقوال كثيرة عن رسول الله ﷺ ذكرتها كتب السنن .

يتضح من خـــلال ذلـــك أن القرآن الكريم هو العلاج الصارم من شياطين الجن، وفي قراءته شفاء للمؤمنين ، قال تعالى : **(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ**

لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلا خَسَاراً)(137) وكم من أناس تلبستهم أفراد من الجن فزادوهم تعباً ورهقاً قال تعالى : **(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً)** (138) وبقراءة القرآن الكريم خرجوا منهم وتماثلوا للشفاء مما يبرهن على تأثير القرآن الكريم على مردة الجن حيث إن هذا أصبح حقيقة ؛ لأن النبي ﷺ جاء عنه الكثير من الروايات بهذا الخصوص فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "**لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة**" (139) .

وجاء عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه، فقال : **(قل)** فلم أقل شيئاً ثم قال : **(قل)** فلم أقل شيئاً ، ثم قال : **(قل)** قلت : يا رسول الله ما أقول؟ قال : **(قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء)** (140) .

وبهذا يتضح أن القرآن الكريم فيه شفاء للمؤمنين ، فقد جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها وترقيها فقال ﷺ : **(عالجيها بكتاب الله)** (141) .

الفصل الثاني

آراء العلماء حول الإعجاز التأثيري للقرآن

مقدمة الفصل

لقد تباينت آراء العلماء حول هذا الوجه الإعجازي للقرآن الكريم ، فمنهم من قال: إن الإعجاز التأثيري لا يُعدّ وجهاً منفرداً بذاته ، وإنما هو تبع لغيره من الوجوه الإعجازية الأخرى ، كالإعجاز البياني أو التشريعي أو العلمي أو العددي أو الغيبي .

وآخرون اعترفوا بوجود الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم في النفوس وقالوا : إنه وجه مستقل بذاته كباقي وجوه الإعجاز الأخرى للقرآن الكريم ، حيث أشار القرآن في الكثير من الآيات إلى تأثيره في النفوس المؤمنة ، فما إن تستمع إلى تلاوته تزداد خشوعاً ، قال تعالى : **(وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً)** (142) وتزداد إيماناً وتوكلاً على الله ، قال تعالى : **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا**

تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (143) ، كما أنـه يترك في نفوسهم وأجسامهم أثراً تقشعر منه الجلود ، قال تعالى : **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ)** (144) .

ولم يكن تأثير القرآن على النفوس المؤمنة فقط وإنما تجاوزها إلى نفوس الكافرين فأحدث فيها الأثر البالغ عندما تقع تلاوته على مسامعهم ، لذلك تواصوا فيما بينهم على عدم سماعه حتى لا يتأثروا به ، لذلك أحدثوا لغواً وضجة وعويلاً عندما تلاه ﷺ على مسامعهم وليشوشوا على الآخرين قال تعالى : **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)** (145) وأخذوا يلوون ألسنتهم بما يلفقونه من كلام ، ليؤثروا في المستمعين كما أثّر القرآن الكريم وليحسبوا أنه من عند الله ولكن هيهات هيهات قال تعالى : **(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (146) .

إن قلوب الكافرين لهي أقسى من الحجارة الصلداء ، وذلك لأنهم عندما سمعوا القرآن نفروا منه قال تعالى : **(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً)** (147) .

بينما لو خاطب الله الجبل بهذا القرآن لتصدع وتأثر من خشية الله قال تعالى : **(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** (148) .

والله سبحانه وتعالى يعلم أن القرآن يملك القدرة التأثيرية على الكافرين ، لذلك طلب من المؤمنين أن يتلوه على مسامع الكافر المستجير لكي يعلن إسلامه ، قال تعالى : **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ)** (149) .

ولم يقتصر هذا التأثير السمعي للقرآن على بني البشر بل تجاوزهم إلى عالم الجن فعندما استمع نفرٌ منهم للقرآن الكريم تأثروا به الأثر البالغ فعادوا إلى قومهم مؤمنين بكتاب ربهم قال تعالى : **(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ)** (150) .

وسنفصِّل الحديث في بيان آراء العلماء الذين تكلموا عن الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم قديماً وحديثاً على سبيل المثال لا الحصر ، ثم نخرج بنتائج هامة ومفيدة من خلال استعراضنا لآرائهم ، لذلك جعلت هذا الفصل في مبحثين :-

الأول : تحدثت فيه عن آراء علمائنا الأفاضل القدماء .

والثاني : استعرضت فيه آراء العلماء المحدثين .

المبحث الأول

آراء العلماء القدامى حول الإعجاز التأثيري

لقد تحدث بعض العلماء في القديم عن القدرة التأثيرية للقرآن الكريم وأعدها وجهاً من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم ومنهم من أرجعها إلى الإعجاز البياني لانشغاله في النظم والبلاغة، ومن هؤلاء العلماء الآتي:

أولاً : الإمام الخطابي (*)

إن أول من قال بالإعجاز التأثيري للقرآن وعدّه وجهاً قائماً بذاته كمثل باقي وجوه الإعجاز الأخرى للقرآن هو الإمام أبو سليمان الخطابي حيث قال : "قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ، ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه في القلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً ، إذا قرع السمع خَلُصَ له القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص فيه إليه .

تستبشر به النفوس ، وتنشرحُ له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه ، عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفَرَق ، تقشعر منه الجلود وتنزعجُ له القلوب يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها .

فكم من عدوٍّ للرسول ﷺ من رجال العرب وفتّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله ، فسمعوا آيات القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه ، وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيماناً (151).

ثانياً : القاضي أبو بكر الباقلاني (*)

يعتبر القرن الخامس الهجري "العصر الذهبي" لفكرة إعجاز القرآن حيث نضجت الدراسات وكثر العلماء أمثال الباقلاني والجرجاني وغيرهم ممن تحدثوا عن إعجاز القرآن الكريم .

ألّف الإمام الباقلاني كتاباً مشهوراً أسماه "إعجاز القرآن" رداً على مطاعن الملاحدة في القرآن الكريم وتضمن أهم أفكاره عن فكرة الإعجاز ونستطيع أن نلخصها في الآتي :-

1- إن القرآن الكريم هو معجزة النبوة عبر الأجيال إلى يوم القيامة ، لأن تحدي الإنس والجن بهذا القرآن قائم إلى يوم الدين .
2- إن القرآن معجزٌ بأسلوبه وبلاغته التي لا سبيل إليها بالتعلم والتعمل وأما ما يُدرك بالتعلم فلا يعتبر سبيلاً إلى معرفة الإعجاز عن طريقه ، وأنه تحدى العرب فعجزوا عن معارضته ، وأنهم لم يكونوا مصروفين عنه ، وأنهم لو نجحوا في المعارضة لنقل عنهم ذلك .
3- قال : إن أقلّ المعجز في القرآن هو أقصر سورة فيه .
4- أقرّ بأن غير العربي يدرك إعجاز القرآن باطلاعه على عجز العرب عن مجاراته .
5- حصر وجوه الإعجاز في عشرة ، ذكر منها نظم القرآن وأسلوبه وبلاغته ، وتوسع في ذلك كثيراً ، ثم أوضح أن القرآن احتوى على تنبؤات عن المستقبل ، ثم ذكر أن القرآن معجز بحديثه عن الحوادث الماضية وقصص السابقين .
6- تحدث في الوجه العاشر عن تأثير القرآن الكريم في النفوس لصدوره عن الله سبحانه وتعالى وأرجع هذا التأثير على بلاغة القرآن ، حيث وصل إلى أعلى مراتبها فقال : "فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته ، وحسن موقعه في السمع وسهولته

على اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول ، وإذا علا الكلام في نفسه ، كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ما يُذهل ويُبهج ويُقلق ، ويطمع ويؤنس ، ويُضحك ويبكي ويحزن ويفرح ويسكن ويزعج ، ويشجي ويطرب ويهز الأعطاف ويستميل نحوه الأسماع ويورث الأريحية والعزة ، وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجوداً ، ويرقي السامع من وراء رأيه مرمى بعيداً ، وله مسالك في النفوس لطيفة ، ومداخل إلى القلوب دقيقة" (152) .

ثالثاً : الجرجاني (*)

الجرجاني رائد في علم البلاغة القرآنية والنظم القرآني ، أهم كتبه في هذا المجال "دلائل الإعجاز" ونظراً لجهوده الفريدة في الحديث عن إعجاز القرآن أصبح القرن الخامس أكثر العصور حديثاً عن فكرة الإعجاز القرآني ، حيث توسع في ذلك وخطى خطوات فأثبت أن إعجاز القرآن في تلاقي الألفاظ مع بعضها البعض وتآخيها لتدل على المعنى المراد في أسلوب بلاغي بديع ، فعوّل كثيراً على الذوق وعلى تنبيه الحس اللغوي لزنة الأساليب وإدراك خصائصها .

ويقول : "فهو إذن نظمٌ فيه مراعاة حال المنظوم بعضه من بعض ، وليس هو النظم الذي معناه : ضم الشيء "كيف جاء واتفق" (153) .

يتضح أنه كان حريصاً على بيان مكانة الذوق والطبع والحس الفني في المتعة الأدبية ، لذلك بنى نظريته في النظم على فكرة النحو ومعاني النحو متوخياً استشارة العقل ومنطقه ثم النفس ورضاها وفطرة الإنسان التي ترتاح لها ويجد في نفسه هزة عندما تشعر بجمال النظم وبديع القول ، وبالتالي فهو يقر بتأثير القرآن في النفوس ويشهد له سيد قطب بأنه كاد أن يصل في كتابه "دلائل الإعجاز" إلى أنماط التأثير القرآني على القاريء أو المستمع من خلال حديثه عن الجمال الإبداعي في الأسلوب الذي امتاز به القرآن حيث يقول "لولا أن قضية "المعاني والألفاظ" ظلت تخايل له من أول الكتاب إلى آخره فصرفته عن كثير مما كان وشيكاً أن يصل إليه ، ولكنه على الرغم من ذلك كله كان أنفذ حسّاً من كل من كتبوا في هذا الباب على وجه العموم حتى في العصر الحديث"(154) .

ملخص نظرية الجرجاني

نستطيع أن نلخص فكرة الجرجاني عن الإعجاز في الآتي :-

1- انتصر لقضية المعنى والنظم على قضية اللفظ .

2- الانتصار لفكرة إعجاز القرآن وإثباتها بنظريات وآراء قوية مقبولة .

3- الانتصار لأهل السنة والجماعة على المعتزلة من خلال نقضه لفكرة المعتزلة حول "خلق القرآن" .

4- أثبت أن التحدي والإعجاز في النظم والتأليف وحصر النظم في توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلمات والجمل والفقرات ، فالكلمات في الجملة لا يجمعها ويؤلف بينها إلا النحو .

وحصره أيضاً في ضروب المجاز والبديع من الاستعارة والكناية والتمثيل واعتبر كل ذلك من لوازم النظم ومقتضياته وألوانه .

رابعاً : السيوطي (*)

تحدث السيوطي رحمه الله عن وجوه الإعجاز القرآني المتعددة في كتابه "معترك الأقران" وذكر منها وجهاً يتمثل في الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطره ، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ، ويزيدهم نفوراً قال تعالى : **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)** (155) .

وقال : أما المؤمن فلا تزال تأخذه روعة القرآن وهيبته عند سماع تلاوته فتوليه انجذاباً وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه قال تعالى : **(تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ)** (156) .

ويدل على هذا شيء خُصّ به أنه يعتريه من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره ، كما روي عن نصراني أنه مرّ بقاريء فوقف يبكي فقيل له : ممّ بكيت ؟ قال : للشجاعة والنظم .

وهذه الروعة قد اعترف بها جماعة قبل الإسلام وبعده ، فمنهم من أسلم لها لأول وهلة ، وآمن به ، ومنهم من كفر .

ويستشهد برواية جاءت في الصحيح عن جبير بن مطعم قال : "سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب : والطور فلما بلغ (**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ**) كاد قلبي أن يطير وفي رواية ذلك أول ما دخل الإيمان قلبي (157) . وبذلك يتضح أن الإمام السيوطي يعتبر القدرة التأثيرية للقرآن على مستمعيه وجهاً مستقلاً لأنه تحدث عن هذا الوجه بعد أن ذكر وجوهاً متعددة من إعجاز القرآن الكريم .

المبحث الثاني

آراء المحدثين حول الإعجاز التأثيري

لقد تحدث عن الإعجاز التأثيري للقرآن في النفوس عدد من العلماء المحدثين وكان لكلٍّ منهم نظرته الخاصة ، إلا أن الجميع يقر ويعترف بقدرة القرآن الكريم التأثيرية في النفوس .

وسيتناول الباحث أهم من تحدث عن هذا الجانب وتوسع فيه وهم كالتالي :-

أولاً : سيد قطب

لقد أوضح صاحب الظلال أن الإعجاز في كل آيات القرآن ، حتى في الآيات الأولى التي خلت من العلوم الكونية والتشريعات ، ويرى أن الإعجاز في بيان القرآن وأسلوبه ونسقه البياني وتصويره الفني المؤثر في النفوس ، وعبّر عن ذلك بمصلح جديد سماه "تأثير القرآن على سامعيه" وأرجع هذا التأثير إلى تذوق الجمال الفني في القرآن، وذكر إن هذا التذوق الفني للقرآن مرّ بثلاث مراحل نلخصها في الآتي(158):

1- **مرحلة التذوق الفطري :** وهي المرحلة التي قام بها الصحابة حيث لم يعللوا ما كانوا يجدونه من أثر للقرآن عليهم ، وتأثيره البالغ فيهم .

2- **مرحلة إدراك بعض الخصائص الفنية :** قال إن بعض الأدباء والمفسرين أدركوا مواضع الجمال المتفرقة في القرآن الكريم وأثنى على الإمام الزمخشري في لفتاته البيانية في تفسيره "الكشاف" وأيضاً على الجرجاني في نظريته "النظم القرآني" حيث قال : "رجل واحد من الباحثين في البلاغة والإعجاز سابق للزمخشري ، بلغ غاية التوفيق المقدر لباحث في عصره هو عبد القاهر الجرجاني ، فلقد أوشك أن يصل إلى

شيء في كتابه "دلائل الإعجاز" لولا أن قصة "المعاني والألفاظ ظلت تخايل له من أول الكتاب إلى آخره" .

3- مرحلة إدراك الخصائص العامة الموحدة للجمال الفني القرآني ، فهذه المرحلة لم يصل إليها أحدٌ من السابقين ولم يبينوها ، فهي تكمن في التصوير الفني في الأسلوب القرآني .

ويعتبر التصوير الفني في القرآن من أمور الإعجاز التي امتاز بها القرآن على غيره من الكلام حيث ورد في الكثير من الآيات القرآنية تصوير المعنى الذهني في صورة حسية وكأنها واقعة ملموسة وشاهدة أمام القاريء فتنطبع في ذاكرته ووجدانه ، وهذا أبلغ في التأثير ، فالإنسان قد ينسى قصة سمعها لكنه لم ينس مشهداً أو صورة رآها.

ويقرر في تفسيره "في ظلال القرآن" قضية الإعجاز التأثيري للقرآن في النفوس بمجرد السماع لتلاوته ، حتى الذين لا يعرفون العربية والعوام من الناس ، عندما يستمعون إلى تلاوته ، لا يطرق عقولهم منه شيء ، ولكنه يطرق قلوبهم إيقاعه ويظهر في ملامحهم سرّه ، وبخصوص ذلك يقول : "إن كلّ آية وكلّ سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن وتشي بالقوة الخفية المودعة في هذا الكلام ، وإن الكيان الإنساني ليهتز ويرتجف ويتزايل ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن كلما تفتح القلب وصفا الحس وارتفع الإدراك وارتقت حساسية التلقي والاستجابة ... وإن هذه الظاهرة لتزداد وضوحاً كلما اتسعت ثقافة الإنسان (159) .

رأي الدكتور/ صلاح الخالدي

وافق الدكتور صلاح الخالدي نظرية سيد قطب وأيدها واعتبر الإعجاز التأثيري للقرآن في نفوس سامعيه هو الجانب الثاني من جوانب إعجازه ، فقال : "الجانب الثاني من جوانب الإعجاز النفسي هو "تأثير القرآن" في النفس الإنسانية عندما تسمعه وتفاعلها معه ، حتى لو كانت نفساً كافرة ، ويمكن أن تسمى هذا "الإعجاز في التأثير" (160) .

وأثبت حقيقة هذا الوجه الإعجازي للقرآن من خلال أنه يملك السر العجيب والسلطان القاهر في النفوس ، والتأثير الغريب عندما نستمع لنصوص القرآن ونتعامل معها بفطرة سليمة وقلب مفتوح ، وعدّهُ وجهاً من وجوه الإعجاز لأن الإنسان يجزم

بسبب هذا الوجه ، بأن هذا القرآن ليس من صنع البشر على وجه اليقين ، وإلا فلماذا حاز هذا السلطان ، وأثّر هذا التأثير ، دون الكتب العربية ؟ (161) . إن هذا برهان واضح على أنه كتاب لا ريب فيه تنزيل من رب العالمين .

ثانياً : الشيخ الشعراوي

تحدث الشيخ الشعراوي عن الإعجاز النفسي للقرآن من خلال كشف القرآن الكريم لحواجز الغيب ، وقال : إنه برهان قاطع على أن القرآن كلام الله عز وجل وحصر هذه الحواجز الغيبية في ثلاثة أمور هي كالتالي :-

1- حاجز المكان : وقصد به الأشياء التي تحدث في نفس اللحظة ، ولكن لا يعرف عنها الإنسان شيئاً ، لأنها تحدث في مكان والإنسان موجود في مكان آخر .

2- حاجز الزمان : ويقصد به كلام القرآن عن الأمم السابقة في الأزمنة الماضية كما يقصد أيضاً حاجز المستقبل ويعني أن القرآن تحدث عن أشياء وأحداث ستقع في المستقبل ووقعت بالفعل كما أخبر عنها القرآن الكريم .

3- حاجز النفس الإنسانية : وهو كشف القرآن الكريم عما يدور في قلوب المنافقين ونفوسهم قال تعالى : **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ)** (162) .

أخبر القرآن بما قاله المنافقون في أنفسهم عندما خالفوا رسول الله ﷺ ولم يخرجوا في غزوة تبوك قال تعالى : **(لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)** (163) .

وأوضح الحق تبارك وتعالى أنهم يحلفون وهم كاذبون قال تعالى : **(وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ)** (164) .

وبذلك يتضح أن الشيخ الشعراوي يؤمن بالإعجاز التأثيري للقرآن ويسميه "الإعجاز النفسي" من خلال كشف القرآن لحواجز الغيب التي ذكرناها سابقاً (165) .

ثالثاً : المرحوم محمد فريد وجدي

يقرر الشيخ وجدي وجه الإعجاز التأثيري للقرآن في النفوس ويعده الوجه الأول من وجوه إعجاز القرآن الكريم ويخالف من اعتبر البلاغة والبيان هي الوجه الرئيسي لإعجاز القرآن ، فهو يعتبر أن من قال إن البلاغة هي الناحية الوحيدة لإعجازه وهي أكثر نواحي الإعجاز سلطاناً على النفس فقد جانب الصواب ، لأنه يعتبر أن هذا الإعجاب الناتج من هذا الوجه يأخذ في الضعف والتقلص شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه ، فلم يعد يحدث في النفس ما كان يحدثه في أول سماعه .

وقد ثبت أن تكرار تلاوته تزيده تأثيراً وبالتالي يتضح أنه معجز بالسلطان العجيب الذي يملكه القرآن في تأثيره داخل النفوس عند استماعها لآياته المرتلة ، وهو في نظر الشيخ وجدي ، أن القرآن روح من أمر الله تبارك وتعالى **(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** (166) .

فهو يرى أن القرآن يؤثر في النفوس تأثير الروح في الجسد فتحركه ثم يقول : "إن للقرآن فوق البلاغة والعذوبة والحكمة والبيان "روحانية" يدركها من لاحظ له في فهم الكلام وتقدير الحكمة وإدراك البلاغة ، وترى الطفل والعامي كيف يعتريهما تهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن حتى أنهما ليكادان يفرقان بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن فيما إذا أراد التالي أن يغشهما ؟ .

وتظهر هذه الروحانية ظهوراً جلياً واضحاً عندما تكون آية من آيات القرآن بين السطور فتظهر وكأنها الشمس في رابعة النهار مهما كانت درجة تلك الصفحة من البلاغة والبيان وجمال الأسلوب ، هذه الروحانية التي امتاز بها القرآن تظهر للعارف باللغة العربية وللجاهل بها ، أما ظهورها للعارف فبيّن وواضح ولا يحتاج إلى بيان وأما ظهورها للجاهل من الأمم الأعجمية فبتأثيرها ونتيجتها (167) .

رأي الدكتور / فضل عباس

ويؤمن الدكتور فضل عباس بأن للقرآن الكريم تأثيراً في النفوس عندما تستمع إلى تلاوته ويسميه بالإعجاز الروحي حيث يقول : "بقي مظهرٌ واحدٌ وهو تأثير القرآن في النفس الإنسانية ، وهذا كذلك لا يسميه العلماء إعجازاً نفسياً ، بل هو إعجاز روحي"(168) .

ويأخذ في الشرح للإعجاز الروحي ويقرر بأنه التأثير العظيم لهذا القرآن الكريم في النفوس من ناحية الهيبة وحلاوة أسلوبه في الترغيب والترهيب ولم يكن هذا الأسلوب المشوق الجذاب المؤثر في نفوس مستمعيه إلا للقرآن الكريم حتى إن الذين لا يدركون معانيه ولا يفهمون ألفاظه نجدهم يتأثرون بهذا القرآن وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)** (169) .

ثم يُرجع هذا الوجه الإعجازي في نشأته على الإعجاز البياني البلاغي حيث يقول : "فالإعجاز الروحي – إذن – إن أردنا أن نعده وجهاً من وجوه الإعجاز فهو ناشيء عن الصيغة البيانية السامية والأسلوب الرفيع والنظم البديع" (170) .

خلاصة الفصل

نستطيع من خلال استعراضنا لآراء العلماء حول الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم أن نلخصها في النقاط التالية :-

1- اتفق الجميع على وجود القدرة التأثيرية للقرآن الكريم في نفوس المستمعين لتلاوته ولم ينكر هذه القدرة التأثيرية أحد منهم .

2- اختلفوا حول تسمية هذا الوجه الإعجازي للقرآن ، فمنهم من أسماه "الإعجاز النفسي" وقال بعضهم "الإعجاز الروحي" وقال آخرون "الإعجاز التأثيري في نفوس المستمعين" وهذه الأسماء الثلاثة جميعها يدل على القدرة التأثيرية للقرآن الكريم في نفوس المستمعين وهو ما أسميناه "الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم" في هذا البحث

3- قال بعضهم إن الإعجاز التأثيري للقرآن وجه مستقل بذاته كباقي وجوه الإعجاز الأخرى وهذا يؤيده الباحث وأثبت صحته في الفصل الأول من هذا البحث ، وخالف بعضهم الآخر فقالوا : إنه منبثق عن الإعجاز اللغوي البياني وتبع له ، ولو كان هذا

الرأي صحيحاً ، فكيف يعللون تأثير الأطفال وعوام الناس عند سماعهم للقرآن الكريم ؟ وبماذا يفسروا تأثر غير الناطقين للغة العربية عند سماعهم لتلاوة القرآن .

إن الإجابة على هذه التساؤلات هو الإيمان بالقدرة التأثيرية للقرآن في النفوس حيث أقرّ بها جميع من كتب في إعجاز القرآن وهو الذي أسميناه "الإعجاز التأثيري في القرآن" كوجه قائم بذاته كسائر وجوه الإعجاز المنبثقة من القرآن الكريم .

4- اختلفوا من ناحية اعتبار "الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم" هل هو الوجه الأول من وجوه إعجاز القرآن الكريم ؟ أم أنه يسبقه وجوه أخرى ؟

فريق من العلماء قال بأنه الوجه الأول والأساسي لإعجاز القرآن ، والفريق الآخر اعتبره الوجه الثاني من وجوه إعجاز القرآن بعد الإعجاز اللغوي البياني ، وفريق ثالث لم يعده وجهاً واعتبره تابعاً للإعجاز البلاغي البياني في القرآن الكريم .

والراجح أنه وجه مستقل بذاته كباقي وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ولا يضر أكان الوجه الأول من وجوه إعجاز القرآن أم أنه بعد الإعجاز البياني أم بعد الإعجاز التشريعي أو العلمي أو الغيبي .

الخاتمة

لقد تناول هذا البحث المتواضع الحديث عن "الإعجاز التأثيري للقرآن" واعتبره وجهاً من وجوه الإعجاز المتعددة للقرآن الكريم ، فالعديد من العلماء تحدث عن الإعجاز اللغوي البياني ، أو الإعجاز العلمي أو التشريعي أو الغيبي أو الإعجاز العددي ، وقلما أشار بعضهم إشارات طفيفة بين طيات كتابه إلى تأثير القرآن على سامعيه .

لذلك جاء الحديث مستفيضاً في هذا البحث عن الإعجاز التأثيري للقرآن على سامعيه ولخدمة هذا الهدف الأساسي للبحث جعلته ، من مقدمة وتمهيد وفصلين ألحقتهما بخاتمة ، أما التمهيد : فتحدث عن تعريف المعجزة وشروطها وأنواعها ، وطريق الإيمان بها ، وتعدد المعجزات ومناسبتها للزمن الذي جاءت فيه ، ثم الفرق بين معجزة هذه الأمة ومعجزات بني إسرائيل .

الفصل الأول : بعنوان "**الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم**" على سامعيه ، تَمَّ الحديث فيه عن تأثير القرآن على رسول الله ﷺ ثم على الصحابة رضوان الله عليهم فجعل منهم خير أمة أخرجت للناس فأصبحوا قادة للبشرية في جميع مجالات الحياة .

وكيف أثر القرآن على الكافرين بمجرد السماع ، وكان سبباً في دخولهم في هذا الدين ؟ ثم كشف النقاب عن تأثير القرآن على غير الناطقين للغة العربية ، فما أن استمع بعضهم إلى آيات القرآن تتلى في الصلاة أو من مذياع فشعر بعذوبة ونعمة هذا القرآن فحدثته نفسه بالبحث عن الإسلام والتوجه إلى المسجد لإعلان إسلامه .

أما المبحث الأخير فوضح تأثير القرآن على عالم الجن حينما استمع نفرٌ منهم لآيات القرآن انقلبوا إلى قومهم دعاة ومنذرين ، قال تعالى : (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**) (171) .

الفصل الثاني : تناول آراء العلماء حول الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم ، بالشرح والتحليل من العلماء القدامى أمثال الخطابي والباقلاني والجرجاني والسيوطي ومن المحدثين سيد قطب والشيخ الشعراوي والمرحوم الشيخ محمد فريد وجدي ، ثم استنتاج خلاصة مفيدة حول الإعجاز التأثيري من خلال استطلاع آراء هؤلاء العلماء وغيرهم .

أهم النتائج

1- اعترف أغلب العلماء ممن كتبوا في "إعجاز القرآن" ، إن للقرآن الكريم قدرة تأثيرية في نفوس المستمعين لتلاوته مهما كانت معرفتهم في اللغة العربية ، وحتى على غير الناطقين للغة العربية .

2- إن الاستماع لتلاوة القرآن الكريم عامل مؤثر وأساسي في دخول الناس قديماً وحديثاً في هذا الدين ، حيث أسلم الكثير من الناس قديماً وحديثاً بمجرد السماع لآيات القرآن الكريم وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم : (**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**) (172) .

3- تباينت آراء العلماء حول "الإعجاز التأثيري في القرآن" وكانت كالآتي :-

أ- بعضهم عدّه وجهاً مستقلاً بذاته ، وقال آخرون إنه تبع لغيره من وجوه الإعجاز الأخرى وخاصة الوجه البلاغي البياني .

ب- اختلفوا في تسمية هذا الوجه الإعجازي للقرآن ، فمنهم من أسماه "الإعجاز النفسي" وبعضهم الآخر قال "الإعجاز الروحي" وآخرون أسموه "الإعجاز التأثيري للقرآن على المستمعين" .

وهذه التسميات جميعها تدلل على قدرة القرآن التأثيرية في نفوس الناس .

4- خلص الباحث إلى أن "الإعجاز التأثيري في القرآن" هو وجه مستقل قائم بذاته ، من خلال بيانه للقدرة التأثيرية للقرآن الكريم على جميع مستويات الناس الثقافية والعقلية، فما من أحد – مؤمن أو ملحد – يستمع إلى آيات القرآن الكريم مرتلة إلا ويتأثر بها وتحدثه نفسه بالإيمان بهذا القرآن وأنه الحق من عند الله تبارك وتعالى فمنهم من يعلن إسلامه ومنهم من يعاند ويقاوم فطرته ويبقى على الكفر .

5- ينبغي على كل من أدرك هذا الوجه الإعجازي في القرآن الكريم أن يعمل جاداً على تطبيق تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية وترجمتها في واقع الحياة ، لأن الهدف من بيان إعجاز القرآن هو زيادة الإيمان بهذا الكتاب الرباني وأن ما جاء فيه من أحكام وشرائع هي الحق يجب التزامها على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع والدولة .

التوصيات

1- أوصي المهتمين بكتاب الله الغيورين على دين الإسلام أن يعملوا جاهدين على إظهار جميع وجوه الإعجاز الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم – التي أشار إليها بعض علمائنا الأفاضل من الأقدمين – بأسلوب واضح وسهل مؤيداً بالأدلة النقلية والعقلية ، لكي يستطيع كافة الناس التعرف على وجوه الإعجاز المتعددة في القرآن الكريم ، وبالتالي يقودهم هذا إلى الإيمان الراسخ بكتاب الله تبارك وتعالى .

2- إن هذا البحث المتواضع المسمى "الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم" توجد له مادة علمية غزيرة بين كتب الأقدمين والمحدثين بحيث تجعل منه كتاباً علمياً مفيداً لطلبة العلم وعامة الدارسين حول القرآن الكريم .

هذا وبالله التوفيق

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

1- **الإتقان في علوم القرآن** جلال الدين السيوطي ، الناشر دار الكتب العلمية ط : 2 (1411هـ - 1991م) .

2- **الأساس في البلاغة** للزمخشري ، دار الكتب العلمية ط : 1 (1996م) .

3- **أساسيات الثقافة الإسلامية** د. الصادق عبد الرحمن الفرياني .

4- **أسباب النزول** للواحدي النيسابوري ، مكتبة المتنبي القاهرة

5- **الإصابة في تمييز الصحابة** لابن حجر العسقلاني ، طبعة دار النهضة ، مصر القاهرة .

6- **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم** أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي .

7- **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة** د. منير سلطان ط 3 (1986م) .

8- **إعجاز القرآن** أبو بكر الباقلاني ، (بدون ط) ، مكتبة مصر .

9- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** للرافعي ط (1416هـ-1995م) دار الفكر العربي.

10- **إعجاز القرآن الكريم** د. فضل عباس وسناء فضل عباس ط (1991م) عمان .

11- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** للبيضاوي ط (1402هـ-1982م) دار الفكر .

12- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** أبو بكر الجزائري ط : 2 (1418هـ-1997م) الناشر مكتبة العلوم والحكمة .

13- **البيان في إعجاز القرآن** د. صلاح الخالدي ط : 2 (1991م) دار عمار ، عمان .

14- **التصوير الفني في القرآن** سيد قطب ط : 10 ، الناشر دار المعارف القاهرة.

15- **تفسير الشعراوي** محمد متولي الشعراوي ط : أخبار اليوم .

16- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير ط : 1 (1992م-1413هـ) مكتبة دار الفيحاء .

17- **التفسير الكبير** للإمام الفخر الرازي ط : 2 (1417هـ-1997م) دار إحياء التراث العربي – بيروت .

18- **تفسير مفردات ألفاظ القرآن** سميح عاطف الزين ط : 2 (1404هـ-1984م) دار الكتاب اللبناني .

19- **تهذيب سيرة ابن هشام** عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان .

20- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** للشيخ السعدي ط (دار الصفا) .

21- **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** للرماني والخطابي والجرجاني .

22- **جامع البيان في تأويل القرآن** لأبي جعفر محمد الطبري ط : 1 (1412هـ-1992م) دار الكتب العلمية .

23- **الجامع لأحكام القرآن** للقرطبي ط (1413هـ-1993م) دار الفكر عمان .

24- **حلية الأولياء** للإمام أبي نعيم أحمد الأصفهاني ط (دار الفكر).

25- **الخلفاء الراشدون** د. عبد العزيز غنيم ، ود. محمد زيتون ط: 14، مؤسسة الرسالة .

26- **دلائل الإعجاز** للإمام الجرجاني ط : 1 (1409هـ-1988م) دار الكتب العلمية – بيروت .

27- **زاد المسير في علم التفسير** جمال الدين الجوزي ط:1 (1407هـ-1987م) دار الفكر .

28- **سير أعلام النبلاء** للإمام شمس الدين الذهبي ط:6، مؤسسة الرسالة

29- **السيرة النبوية** لابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد ط : عيسى البابي الحلبي .

30-	**السيرة النبوية**	لابن هشام تحقيق د. أحمد السقاط ، ط دار التراث العربي .
31-	**السيرة النبوية – دراسة تحليلية في ضوء الكتاب والسنة**	د. مصطفى أبو عمارة ، د. مروان شاهين ط : 1 (1402هـ–1981م) دار الطباعة المحمدية بالأزهر .
32-	**شرح معجزات الأنبياء والمرسلين**	الشيخ محمد متولي الشعراوي ط : دار مايو الوطنية – القاهرة .
33-	**صفوة التفاسير**	محمد علي الصابوني ط : 1 (1989م–1410هـ) دار الصابوني .
34-	**عقيدة المؤمن**	أبو بكر الجزائري ، ط (دار إحياء الكتب العلمية) .
35-	**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**	لابن حجر العسقلاني ، ط (دار التراث العربي).
36	**فقه السيرة**	د. محمد سعيد البوطي ط (دار الفكر) .
37-	**في ظلال القرآن**	سيد قطب ، بدون طبعة .
38-	**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**	للزمخشري ط : 1 (1403هـ–1983م) الناشر دار الفكر .
39-	**لسان العرب**	لابن منظور أعاد بناءه على الحرف الأول يوسف الخياط ، دار الجيل بيروت ، دار لسان العرب – بيروت .
40-	**مباحث في علوم القرآن**	للشيخ مناع القطان ، الناشر مؤسسة الرسالة ، بدون طبعة .
41-	**مجموع الفتاوى**	للإمام أحمد بن تيمية الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين .
42-	**محاسن التأويل**	محمد جمال الدين القاسمي ، دار الفكر بيروت .

زهـد

43-	**المدخل لدراسة القرآن الكريم**	د. محمد أبو شهبة ط (1412هـ-1992م) دار الجيل .
44-	**معترك الأقران في إعجاز القرآن**	للسيوطي ط 1 (1408هـ-1988م) .
45-	**معجزات الرسول**	الشيخ محمد متولي الشعراوي، الناشر أخبار اليوم .
46-	**معجزة القرآن**	الشيخ محمد متولي الشعراوي ، مكتبة التراث الإسلامي .
47-	**مع القرآن الكريم دراسات وأحكام**	حيدر قفة ط (1407هـ-1987م) عمان .
48-	**النبأ العظيم**	د. محمد عبد الله دراز ط (1404هـ-1984م) دار القلم .
49-	**نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**	د. صلاح الخالدي ط : 1 (1403هـ-1983م) مطبعة حطين – عمان – دار الفكر .
50-	**وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن**	د. محيي الدين رمضان ط 1 (1402هـ-1982م) دار الفرقان ، عمان .

الحواشي

---

(1) سورة فصلت آية : 42 .

(2) سورة البقرة آية : (23 ، 24) .

(3) سورة الإسراء آية : 88 .

(4) سورة ص آية : 29 .

(5) سورة الحجر آية : 9 .

(6) أخرجه مسلم ح : 3 ، ك : الوصية باب 14 ص : 1255، حديث رقم 14، النسائي ح : 6 ، ك : الوصايا ، باب : 8، ص : 251 حديث رقم : 3651 ، مسند أحمد ح : 2 ، ص (316 ، 350 ، 372).

(7) سورة البقرة آية : 282 .

(8) سورة المائدة آية : 31 .

(9) سورة هود آية : 72 .

(10) انظر : لسان العرب لابن منظور ، مجلد 4 ، ص : (691-692) .

(11) انظر : أساس البلاغة ص 290 ط : 1 سنة 1996م ، وانظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص : 567 .

(12) انظر : البيان في إعجاز القرآن ص : 23 ، وانظر : إعجاز القرآن الكريم ص : 21 .

(13) سورة البروج آية : 16 .

(14) سورة الحج آية : 14 .

(15) سورة آل عمران آية : 49 .

(16) انظر : تفسير الشعراوي مجلد 3 ، ص : (1476 ، 1477) .

(17) سورة الإسراء آية : 1 .

(18) سورة الأنبياء آية 69 .

(19) سورة طه آية : 77 .

(20) سورة الأنبياء آية : 68 ، 69 .

(21) سورة طه الآية : 65 ، 66 .

(22) انظر : تفسير الشعراوي مجلد 3 ، ص : 1472 ، 1473 .

(23) انظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص : 766 .

(24) مسند الإمام أحمد مجلد 2 ، ص : 429 .

(25) صحيح مسلم مجلد 3 ، حديث رقم 843 ، ص : 1786 ، مسند أحمد مجلد 3 ، ص 446

---

(26) انظر : تفسير الجامع لأحكام القرآن مجلد 1 ، الجزء الأول ، ص : 51 .

(27) انظر : الإتقان في علوم القرآن مجلد 2 ، ص : 252 ، وانظر : شرح معجزات الأنبياء والمرسلين، ص 315 .

(28) سورة التوبة آية 124 ، 125 .

(29) سورة الإسراء آية : 88 .

(*) السيوطي : هو أبوالفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، له مؤلفات كثيرة أشهرها تفسير الدر المنثور ، وكتاب الإتقان في علوم القرآن ، ولد سنة 849 هـ ، وأخذ عن شيوخ كثيرين، توفي عام 911هـ ، انظر : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي مجلد 8 ، ص 51 .

( ) الإتقان في علوم القرآن مجلد 2 ، ص 252 .

( ) سورة البقرة الآية : 96 .

( ) سورة البقرة الآية : 87 ، 88 .

( ) انظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص: 701 ، وانظر: تفسير جامع البيان في تأويل القرآن مجلد 11، ص 544، وانظر: معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، ص:59، 60 .

( ) سورة القمر آية : 1 ، 2 .

( ) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص : 102 .

( ) سورة طه آية : 69 ، 70 .

( ) سورة آل عمران آية : 49 .

( ) سورة الأنبياء آية (68–70) .

( ) سورة الإسراء آية : 88 .

( ) سورة هود آية : 13 .

( ) انظر : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، ص : 84 .

( ) سورة البقرة آية 23 ، 24 .

( ) سورة الحشر آية : 21 .

( ) سورة الزمر آية : 23 .

( ) سورة الإسراء آية : 107–109 .

( ) معجزة القرآن ، الكتاب الأول ص 37 ، ط مكتبة التراث الإسلامي .

( ) سورة المزمل آية : 5 .

( ) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم ص 57، وانظر: مباحث في علوم القرآن للقطان ص 39، 40.

( ) سورة المائدة آية : 67 .

( ) سورة القلم آية : 4 .

( ) سورة الأنبياء آية : 107 .

( ) سورة الأعراف آية 199 .

( ) سورة الأحزاب آية : 21 .

( ) سورة الفتح آية : 27 .

( ) سورة القمر آية : 44 ، 45 .

( ) صحيح مسلم مجلد 1 ، ص 536 ، حديث رقم 772 ، ك : "صلاة المسافرين وقصرها باب "استحباب تطويل القراءة" .

( ) فتح الباري مجلد 8 ، ك : التفسير باب "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد" ص : (98 ، 99) حديث رقم 4582 .

( ) فتح الباري مجلد 8 ، كتاب : التفسير باب "ليغفر الله لك ما تقدم" حديث رقم 4837 ، ص 448 .

( ) صحيح مسلم مجلد 1 ، حديث رقم 746 ، ك : صلاة المسافرين وقصرها باب "جامع صلاة الليل" ص : 513 .

( ) فتح الباري مجلد : 8 ، باب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) ، ص : 108 ، حديث رقم 4592 بنحوه.

( ) صحيح مسلم ، ك (الجهاد والسير) ، باب (فتح مكة) ، ص : 1406 ، حديث رقم 1780 .

( ) سورة المجادلة آية : 1 .

( ) أسباب النزول للواحدي النيسابوري ص 228-229 .

( ) سورة النور آية : 11 .

( ) سورة آل عمران آية : 100 ، 101 .

( ) انظر : أسباب النزول للواحدي ص 67 ، 68 ، وانظر : تفسير أبي السعود ، الجزء الثاني، ص : 64 .

( ) سورة التحريم آية : 3 .

( ) في ظلال القرآن مجلد 8 ، ص 615 ، 616 .

( ) أخرجه مسلم ، باب فضائل أم أيمن رضي الله عنها حديث رقم 2454 .

( ) صحيح البخاري ، مجلد 2 ، باب : "جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده ، حديث رقم 2175، ص : 804 مختلف الألفاظ ، وانظر : السيرة النبوية "دراسة تحليلية في ضوء القرآن والسنة" ص : (269 ، 270).

( ) صحيح مسلم ، جزء 1 ، باب "استخلاف الإمام إذا عرض له عذر في مرض أو سفر" ص 316 ، حديث رقم 420 .

( ) انظر : السيرة النبوية – دراسة تحليلية في ضوء الكتاب والسنة ، ص : 252 بتصرف .

( ) سورة طه آية : 1–8 .

( ) انظر: تهذيب سيرة ابن هشام، ص: 88–90 بتصرف، وانظر: الخلفاء الراشدون، ص: (58، 59).

( ) انظر : الخلفاء الراشدون ، ص : 143 .

( ) صحيح البخاري جزء 64 ، باب : "إنا أنزلنا القدر" حديث رقم 4677 ، ص 1897 .

( ) سورة العنكبوت آية : 69 .

( ) سورة الحديد آية : 16 .

( ) سورة الحجرات آية : 13 .

( ) سورة الإسراء آية : 9 .

( ) سورة الأنعام آية : 122 .

( ) سورة الشورى آية : 52 .

( ) سورة البقرة آية : 256 .

( ) صحيح البخاري مجلد 4 ، باب : غزوة أحد ، ص 1487 ، حديث رقم 3820 ، أيضاً صحيح مسلم مجلد 3 ، ص 1509 ، حديث رقم 1899 .

( ) سورة المعارج آية (7 ، 8) .

( ) انظر الإصابة 235/1 .

( ) المستدرك على الصحيحين "المستدرك للحاكم" مجلد 3 ، باب "مناقب أبي دجانة" ، ص : 255 ، حديث رقم 5018 ، وأيضاً مصنف ابن أبي شيبة ، جزء : 7 ، ص : 369 ، حديث رقم : 3677 .

( ) الإصابة للعسقلاني جزء 7 ، ص 616 ، رقم 1106 "الخنساء الشاعرة" وأيضاً الاستيعاب جزء 4، ص 1829 ، رقم 3317 .

( ) صحيح البخاري جزء 3 ، باب "من أتاه سهم غرب فقتله" ص 1034 ، حديث رقم 2654.

( ) صحيح البخاري جزء 1 ، باب "قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون" ص **439** ، حديث رقم **1241** .

( ) رواه الترمذي بلفظه جزء 5 ، ص 177 ، حديث 2913 ، أيضاً المستدرك على الصحيحين جزء 1 باب "أخبار في فضائل القرآن جملة" ص : 741 ، حديث 2037 .

( ) سورة الذاريات آية : 17 ، 18 .

( ) سنن البيهقي الكبر، جزء 3 ، باب "إثبات إمامة المرأة" ص 130 ، حديث رقم 5136 .

( ) انظر : المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ص : 240 نقلاً عن الإتقان ج1 ، ص : 158 .

( ) سورة الأحزاب آية 23 .

( ) انظر تهذيب سيرة ابن هشام ، ص 179 .

( ) سورة الإسراء آية : 88 .

( ) سورة هود آية : 13 .

( ) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، مجلد 3 ، ص 154 .

( ) سورة يونس آية 38 .

( ) سورة البقرة آية : (23 ، 24).

( ) انظر : سيرة ابن هشام ، مجلد 1 ، ص : 192 ، 193 ، وانظر : السيرة النبوية لابن كثير ، مجلد 1 ص : (505 ، 506) ، وانظر : في ظلال القرآن ، مجلد 8 ، ص 215 .

( ) انظر : السيرة النبوية لابن كثير ، مجلد 1 ، ص 591-504 ، وانظر : في ظلال القرآن، مجلد 8، ص : 227 ، 228

( ) انظر : تفسير الطبري ، مجلد 12 ، ص 309 ، وانظر : السيرة النبوية لابن كثير ، مجلد 1 ص 498-500 ، وانظر : في ظلال القرآن ، مجلد 8 ، ص 361 ، 362،وانظر : تفسير القرطبي، مجلد 10 ، الجزء 19 ، ص : 49 .

( ) سورة المدثر آية : 11-24 .

( ) انظر : في ظلال القرآن ، مجلد 7 ، ص 637 ، 638 .

( ) سورة فصلت آية : 26 .

( ) سورة آل عمران آية : 78 .

( ) سورة التوبة آية : 6 .

( ) انظر : في ظلال القرآن ، مجلد 4 ، ص 421 .

( ) مع القرآن الكريم ، ص : 280 .

( ) انظر : في ظلال القرآن ، مجلد 4 ، ص 422-423 بتصرف .

( ) انظر : مع القرآن ص : 283-285 بتصرف ، وقد نقل عن كتاب لماذا أسلمنا ، ترجمة مصطفى جبر ص : 125-127

( ) سورة الإخلاص آية : 1-3 .

( ) سورة يوسف آية : 77 .

( ) سورة يوسف آية 92 .

( ) مع القرآن الكريم ، ص : 285 ، 286 بتصرف .

( ) انظر وجوه من الإعجاز الموسيقي ص : (24 ، 25) .

( ) سورة البقرة آية : 2 .

( ) سورة الكهف آية : 50 .

( ) سورة الأعراف آية : 27 .

( ) سورة الذاريات آية : 56 .

( ) انظر : تفسير القاسمي "محاسن التأويل" مجلد 9 ، ص 36 ، وانظر : عقيدة المؤمن ، ص: 171 .

( ) سورة الإسراء آية : 88 .

( ) سورة الأحقاف آية : 29 .

( ) في ظلال القرآن ، مجلد 7 ، ص : 431 .

( ) سورة الأحقاف آية : 30 .

( ) للاستزادة في هذا الموضوع انظر : عقيدة المؤمن ص : 173 ، 179 .

( ) صحيح مسلم جزء 4 ، "كتاب الرؤيا" ص : 1771 ، حديث 2266 ، وأيضاً مجمع الزوائد باب "رؤية النبي" ، جزء 7 ، ص 181 .

( ) سورة النمل آية : 38 ، 39 .

( ) سورة الجن آية 13-15 .

( ) سنن الترمذي ، جزء 5 ، باب "ومن سورة الرحمن" ، ص : 399 ، حديث 3291 ، وقال عنه حديث غريب .

( ) صحيح مسلم، مجلد 1، ص 539 ،ك : المسافرين، باب: 29 ،استحباب صلاة النافلة في البيت وجوازها في المسجد حديث رقم 212 .

( ) أخرجه الدارمي ، 22 ، ك : فضائل القرآن ، باب : 15 ، ص 323 ، حديث رقم 3391.

( ) سورة النحل آية : 98 .

( ) سنن النسائي ، كتاب "الاستعاذة" ، باب : "الاستعاذة" جزء 8 ، ص 250 حديث رقم 5432 .

( ) سورة الإسراء آية : 82 .

( ) سورة الجن آية : 6 .

( ) صحيح مسلم مجلد : 1 ، ص : 539 ، ك : المسافرين ، باب : 29 حديث رقم : 212 .

( ) رواه أبو داود والترمذي 227/5 وقال عنه حسن صحيح وحسنه الألباني .

( ) السلسلة الصحيحة رقم (1931) .

( ) سورة الإسراء آية : 109 .

( ) سورة الأنفال آية : 2 .

( ) سورة الزمر آية : 23 .

( ) سورة فصلت آية : 26 .

( ) سورة آل عمران آية : 78 .

( ) سورة الإسراء آية : 45 ، 46 .

( ) سورة الحشر آية : 21 .

( ) سورة التوبة آية : 6 .

( ) سورة الأحقاف آية : 29 .

(*) الخطابي : هو أبو سليمان حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم الخطابيّ ولد عام 319هـ ، له مؤلفات كثيرة يغلب عليها الحديث والفقه مثل معالم السنن ، وغريب الحديث وشرح أسماء الله الحسنى وغيرها ، توفي سنة 388هـ ، انظر : شذرات الذهب لابن العماد مجلد 3 ، ص 127 ، وطبقات الشافعية للسبكي مجلد 2 ، ص 218 ، وتذكرة الحفاظ للذهبي مجلد 2 ، ص (223 ، 224) .

( ) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص : 70 .

(*) الباقلاني : هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاسم البصري المعروف بأبي بكر الباقلاني متكلم على مذهب الأشعري ولد بالبصرة عام 338هـ وتوفي عام 403هـ ، له الكثير من المؤلفات منها إعجاز القرآن وأسرار الباطنية وغيرها ، انظر : معجم المؤلفين مجلد 5 جزء 10 ص : 111 .

( ) إعجاز القرآن للباقلاني ص : 192 .

(*) الجرجاني : هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني كان شافعياً عالماً بالعربية له العديد من المؤلفات أهمها كتاب دلائل الإعجاز ت سنة 471هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ج : 18 ، ص : (432 ، 433) .

( ) إعجاز القرآن ص : 152 نقلاً عن دلائل الإعجاز .

( ) التصوير الفني في القرآن ص : 29 .

(*) السيوطي : انظر ترجمته في ص 5 .

( ) سورة فصلت آية : 26 .

( ) سورة الزمر آية : 23 .

( ) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، مجلد 1 ، ص 183 .

( ) انظر التصوير الفني في القرآن ص : (29–32) .

( ) في ظلال القرآن مجلد 5 ، ص : 2805 .

( ) البيان في إعجاز القرآن ص : (391 ، 342) .

( ) انظر نظرية التصوير الفني ص : 289 .

( ) سورة المجادلة آية : 8 .

زهـد

( ) سورة التوبة آية : 42 .

( ) سورة التوبة آية : (56 ، 57) .

( ) انظر المعجزة الكبرى للشعراوي ج1 ، ص (108 ، 109) .

( ) سورة الشورى آية 52 .

( ) انظر إعجاز القرآن الكريم ص : (347 ، 348) نقلاً عن دائرة معارف القرن العشرين 675/7 .

( ) إعجاز القرآن الكريم ص : 344 .

( ) سورة الزمر آية : 23 .

( ) إعجاز القرآن الكريم ص : 349 .

( ) سورة الأحقاف آية : 29 .

( ) سورة التوبة آية : 6 .